القدس
قبل فوات الأوان
فريق
متميزون
E-BOOK
محمد السمّاك

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

القدس..
قبل فوات الأوان

محمد السمَّاك

عن الكتاب..

ليست القدس مدينة عادية. القدس هي مدينة الإيمان. اليهود يعتقدون أن خروج الموتى من الأجداث (القبور) يوم القيامة سيتم من وادي كيدرون في القدس. وهم يؤمنون بأن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام هم بذبح ابنه استجابة لنداء الله في القدس، وأن الله تدخل في اللحظة الأخيرة وفداه بكبش سمين.... والمسلمون يؤمنون بأن الله أسرى بالنبي محمد عليه السلام من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس. ومن هناك عرج محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء. والمسيحيون يؤمنون بأن المسيح عليه السلام قتل وصلب ودفن في القدس ثم خرج من القبر في عملية الهية إعجازية لإنقاذ البشرية من آثامها ومعاصيها. هنا في القدس يبحث اليهود عن تابوت العهد ويستعدون لإعادة بناء الهيكل، بانتظار ظهور المسيح "الحقيقي" الذي يعتقدون أنه سيقود الناس من القدس إلى الجنة.

إن للقدس تاريخاً يعود إلى ثلاثة آلاف عام قبل المسيح, وهذا الكتاب لا يهتم بالتأريخ لهذه المدينة المقدسة، ولا يهدف للحدث عن أهميتها الدينية أو السياسية، ولكنه يحاول إلقاء الضوء على موقع القدس في القرار السياسي الأمريكي، وعلى دورها كنقطة التقاء بين الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية، أي بين الجماعات اليهودية التي تنتظر مجيء المسيح، والجماعات المسيحية التي تنتظر العودة الثانية للمسيح. وموقع المسجد الأقصى في عمليتي الانتظار.

"لم يبق سوى حادث واحد آخر ليكتمل إعداد المسرح أداء دور إسرائيل في الفصل الأخير من مأساتها التاريخية. وهو إعادة بناء الهيكل القديم في موقعه القديم. هناك مكان واحد يمكن أن يقوم عليه الهيكل استناداً إلى قوانين موسى. وهو جبل موريا. حيث أقيم الهيكلان السابقان".

هول ليندسي

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة الطبعة الثانية

عندما وضعتُ عنوان الطبعة الأولى من هذا الكتاب "القدس قبل فوات الأوان"، لم أكن أنعي القدس، كما لم أكن أنعي الحمية العربية (والإسلامية) لإنقاذ المدينة من بين براثن التهويد.

لقد قصدت من هذا العنوان أن أقرع ناقوس الخطر منبّهاً إلى المصير المظلم الذي ينتظر المدينة المقدّسة ما لم يتحرك العالم العربي بمسلميه وبمسيحييه في إطار مبادرة عملية تستضيء بأخطاء وبفشل السياسات التي اعتُمدت طوال العقود الأربعة الماضية.

حتى الآن، لا أعرف إذا كان هناك تصور عربي ما للتعامل مع الأمر الواقع الذي فرضته وتفرضه إسرائيل في القدس منذ احتلالها في حزيران – يونيو من عام 1967. كل ما هو معروف أن العالم العربي يطالب بتطبيق قراري مجلس الأمن الدولي 242 و338 اللذين ينصان على وجوب انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة مقابل الاعتراف بها. والقدس هي جزء من هذه الأراضي العربية المحتلة، وبالتالي فإن على إسرائيل الانسحاب منها بعد أن اعترف العرب بها وتبادل بعضهم (مصر والأردن وموريتانيا حتى الآن) التمثيل الدبلوماسي معها ورفعوا هذا التمثيل إلى مستوى السفراء.

إن أسهل الاقتراحات هو الاقتراح الذي يدعو إسرائيل إلى هذا الانسحاب على قاعدة الشرعية الدولية دون قيد أو شرط من جميع الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس. ولكن عدم توافر القدرة العربية الذاتية، وعدم توافر الإرادة الدولية لتنفيذ هذا الاقتراح، من شأنه أن يُبقي الوضع على ما هو عليه. ويعني هذا الأمر انتقال التهويد من مرحلة متقدمة إلى مرحلة أكثر تقدماً عبر توسيع الاستيطان اليهودي، وعبر التضييق على العرب المقدسيين – كما جرى خلال الانتخابات البرلمانية التي جرت في كانون الثاني/يناير 2006 -، وعبر مصادرة أراضيهم وممتلكاتهم، وعبر بناء الجدار العازل، وسواها من الإجراءات التي تتواصل على الأرض منذ الاحتلال حتى اليوم.

إن التهويد لا يتوقف بمجرد الإعلان عن رفضه أو بمجرد اعتباره عملاً غير مشروع. إن قيام إسرائيل في الأساس هو عمل غير مشروع. ورغم ذلك انتقل العالم العربي – بعضه على الأقل – من الرفض المطلق لها إلى القبول غير المشروط بها. أي أن هذا الكيان "اللامشروع" يتمتع اليوم ليس فقط بالقبول وبالاعتراف الدوليين، ولكنه يتمتع أيضاً بقبول وباعتراف دول عربية وإسلامية.. وحتى باعتراف وقبول السلطة الفلسطينية. فما الذي يمنع

إسرائيل التي فرضت نفسها كياناً سياسياً ثم فرضت شرعية هذا الكيان، أن تفرض تهويد القدس ومن ثم أن تفرض شرعية هذا التهويد؟

ليس من الحكمة في شيء انتظار فرض الأمر الواقع الإسرائيلي ومن ثم مجابهته. إن الحكمة تقتضي التصدي من الأساس لما تحاول إسرائيل أن تفرضه في القدس كأمر واقع.. وقبل فوات الأوان.

إن القدس تواجه، أو يمكن أن تواجه حالة من الحالات الأربع الآتية:

أولاً: أن تستعيد فلسطينيتها وعروبتها تنفيذاً لقرارات الشرعية الدولية.

ثانياً: أن تهوّد بالكامل كعاصمة "موحّدة وأبديّة لإسرائيل" تنفيذاً للمشروع الذي يتلاقى عليه اليهود الصهاينة في إسرائيل والمسيحيون الصهاينة في الولايات المتحدة الأميركية.

ثالثاً: أن تعلن مدينة دولية تخضع لإدارة الأمم المتحدة تنفيذاً لاقتراح الفاتيكان.

رابعاً: أن تتخذ عاصمة مشتركة لكل من إسرائيل وفلسطين، وأن تتولى هيئة فلسطينية – إسرائيلية مشتركة إدارة شؤونها باعتبار هذا التصوّر القاعدة والأساس لحل سياسي إسرائيلي – فلسطيني.

ليس هناك أي تصور لحالة خامسة – حتى الآن على الأقل – وليس هناك توافق على أي من الحالات الأربع. ففي عام 2000 فشل مؤتمر كمب دايفيد الذي عقد بين الرؤساء الثلاثة، الأميركي بيل كلنتون والفلسطيني ياسر عرفات، والإسرائيلي أيهود باراك، بسبب الخلاف على مصير القدس. إلا أنه رغم هذا الفشل فإن وقائع المؤتمر أثبتت أن الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي تجاوزا جدار المحرمات التقليدي وتخليا عن بعض المواقع التي كان يتمسك بها كل منهما. لقد شكّل التفاوض حول القدس من حيث المبدأ تحولاً هاماً في حد ذاته، بعد أن كان الفلسطينيون والإسرائيليون يعتبرون المدينة المقدسة أسمى من أن تخضع للمساومة، وبعد أن كانوا يناؤون بها عن طاولة المفاوضات.

ولكن إلى أين؟

لا يوجد تفاهم إسلامي، ولا يوجد تفاهم عربي – إسلامي – مسيحي حول الإجابة على هذا السؤال. بل لا توجد حتى محاولة للبحث عن جواب يعكس بواقعية مثل هذا التفاهم المنشود. فالفاتيكان متمسك باقتراحه الأساس وهو تدويل الأماكن المقدسة، دون أن يعني ذلك تدويل مدينة القدس. ذلك أن المدينة ليست كلها أماكن مقدسة وإن كانت كلها مباركة.

أما إسرائيلياً فإن الأمر مختلف. فقد وُضعت بتصرف الحكومة دراسات عديدة تنطلق من تصورات مختلفة قامت بإعدادها مجموعات من العلماء المتعددي الاختصاصات بعد مناقشتها في مؤتمرات خاصة، كان آخرها المؤتمر الذي عقد في بلدة هرتسليا بين 21 و24 من يناير – كانون الثاني 2006. فالدراسة التي أعدّها للمؤتمر "معهد القدس للأبحاث الإسرائيلية" عرضت عدة تصورات توقعت أن تُرفض كلها إما من الجانب العربي أو من الجانب الإسرائيلي. وخلصت إلى اعتبار التدويل الحل الأكثر واقعية. وبموجب هذا الحل تبقى السلطات الإسرائيلية والفلسطينية بمنأى عن أي اتهام بالتنازل عن المقدسات.

ليست القدس مجرد مدينة محتلة بالنسبة للعرب المسلمين والمسيحيين، وليست مجرد مدينة عادية بالنسبة لليهود. إن لها موقعاً خاصاً في الرسالات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام (راجع الفصل الثاني من الكتاب: القدس مدينة الإيمان). وهي تجسّد بالنسبة للمسلمين تحديداً مبدأ وحدة هذه الرسائل السماوية "الذي يقوم على قاعدة" أن الدين واحد والشرائع متعددة" الذي يقول به الإسلام.

لذلك لا يمكن فهم علاقة الإسلام بالقدس بمعزل عن هذا المبدأ.

لقد جاء الإسلام بعد اليهودية والمسيحية. إلا أن الرسالة الإسلامية تقول:

أولاً: إن الإسلام لم يبدأ بالنبي محمد عليه السلام. بل إن النبي إبراهيم (ص) الذي يصفه القرآن الكريم بأنه "خليل الله" هو أول من أطلق اسم الإسلام على المؤمنين الذين آمنوا بالله وسلّموا أمرهم له.

ثانياً: إن الإسلام لم يلغ ما قبله ولم ينكره، ولم يتنكّر له. بل جاء – حسب قول النبي محمد عليه السلام – متمّماً لمكارم الأخلاق. أي متمّماً لما قبله.

ثالثاً: إن الإسلام يؤمن باليهودية رسالة من عند الله. كما يؤمن بجميع الأنبياء والرسل، فالقرآن الكريم يقول في الآية 84 من سورة آل عمران: قل آمنا بالله وما أُنزل علينا وما أُنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أُوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون.

وفي الأساس أيضاً تضع الآية 46 من سورة العنكبوت الإطار العقدي لهذه العلاقة بقول القرآن الكريم: ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون.

كذلك يؤمن الإسلام بالمسيحية ويولي السيد المسيح وأمه العذراء مريم مكانة عالية في العقيدة الإسلامية.

رابعاً: إن المسلم لا يكتمل إيمانه، بل لا يكون في الأساس إذا لم يكن يؤمن بالمسيحية وباليهودية وإذا لم يكن يؤمن بالتوراة وبالإنجيل اللذين يقول عنهما القرآن إن فيهما "هدى ونور".

إن هذا الإيمان الذي يربط بين الإسلام واليهودية والمسيحية، هو الذي يشد رباط الإسلام بالقدس باعتبار أنها نقطة الالتقاء على الأرض بين الرسالات الثلاث، ورمز وحدة مصدر هذه الرسالات وهو الله. ورمز وحدة هدفها وهو الإنسان. لذلك عرفت المدينة في ظل الحكم الإسلامي من السماحة الدينية ما لم تعرفه في ظل أي حكم آخر.

في المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية كان المسلمون يتوجهون في صلاتهم نحو المسجد الأقصى في مدينة القدس. ولم يتحولوا نحو الكعبة في مدينة مكة المكرمة إلا في المرحلة التالية من الدعوة عندما استتب الأمر للنبي في المدينة المنورة.

وفي الأدبيات الروحية الإسلامية التي يذكرها القرآن أن الله أسرى برسوله محمد عليه السلام – من المسجد الحرام – في مكة – إلى المسجد الأقصى – أي المسجد البعيد – في القدس. ويقول القرآن عن هذا المسجد الأقصى: "الذي باركنا حوله". أي أن البركة الإلهية في المفهوم الإسلامي ليست محصورة بالمسجد الأقصى وحده، ولكنها تشمل كذلك ما حوله. وما حوله مقدسات يهودية ومسيحية. والرسول محمد عليه السلام يقول ما معناه: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث: المسجد الحرام – في مكة – ومسجدي هذا – في المدينة -، والمسجد الأقصى".

وفي الأدبيات الروحية الإسلامية أيضاً أن الله عرج بالنبي من المسجد الأقصى إلى السماوات العلى. وأنه خلال ذلك أوحى الله بفرض الصلاة على المسلمين خمسين مرة في اليوم. إلا أن النبي موسى عليه السلام أشار للنبي محمد عليه السلام خلال عملية العروج في السماء بأن يسأل الله أن يخفف عن المسلمين عدد هذه الصلوات اليومية. وهو ما فعله محمد صلّى الله عليه وسلم بالفعل. فاستجاب الله لسؤاله وخفض عدد الصلوات إلى خمس فقط. وهذا يؤكد مرة أخرى على العلاقة الروحية العميقة بين الأنبياء في العقيدة وفي الثقافة الإسلاميتين على حد سواء.

من هنا، فإن المسلمين لا ينكرون حق اليهود في أن يقيموا معبداً لهم في القدس. فبعد الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب أعادوا السماح لهم بدخول المدينة بعد أن كانوا ممنوعين من ذلك طوال العهد البيزنطي –

الروماني. ولكن المشكلة هي في اعتقاد اليهود بأن موقع الهيكل الذي يريدون إقامته هو الموقع نفسه الذي يقوم عليه المسجد الأقصى، مما يعني تدمير المسجد الأقصى بكل ما يرمز إليه من مقدسات إسلامية لبناء الهيكل.

لا يحتاج المسلمون إلى برهان على أنهم لم يقيموا المسجد فوق أنقاض معبد سليمان الذي دمره الرومان ومن قبلهم البابليون. فالعقيدة الإسلامية تحترم وتؤمن باليهودية كما أسلفنا، وتكفي الإشارة إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب امتنع عن الصلاة في حرم كنيسة القيامة حتى لا يحوّل المسلمون – فيما بعد – ذلك الركن الذي يصلي فيه إلى مسجد. فكيف يمكن أن يقيموا مسجداً فوق كنيس يهودي؟ لقد صلّى عمر خارج الكنيسة وفي موقع يبعد عنها حيث يقوم اليوم في ذلك الموقع مسجد يحمل اسمه.

إن أهم معجزة للنبي محمد صلّى الله عليه وسلم هي معجزة الإسراء والمعراج، وهي مرتبطة بالقدس. ولقد سُميت قدساً لأن الله باركها وقدّسها. وقد خصّ الله سبحانه وتعالى هذه المدينة على مدى التاريخ بفيض من نعمه وبركاته، فهي أول مكان انحسرت عنه مياه الفيضان أيام نوح عليه السلام. وكان المسجد الأقصى في بيت المقدس أول كعبة للإسلام وجّه المسلمون وجوههم شطره، وفيها حدثت البشرى لمريم بابنها عيسى عليهما السلام.

وانطلاقاً من إيمان الإسلام باليهودية والمسيحية، فإن المواقع الدينية (المسيحية واليهودية) تعنيه وتهمّه بقدر ما تعني وتهمّ اليهود والمسيحيين. فالاهتمام الإسلامي بالقدس ليس اهتماماً بمواقع إسلامية مقدّسة فقط، بل إنه اهتمام بوحدة الدين وبوحدة رموزه الروحية.

إن وجود 199 صرحاً دينياً إسلامياً و950 صرحاً دينياً مسيحياً في القدس يجسّد أهمية هذه المدينة المقدسة بالنسبة للمسلمين وللمسيحيين معاً.

كما أن حرص الخليفة عمر على رفع الحظر الذي كان مفروضاً على اليهود لدخول المدينة والتعبد فيها، والتزام الحكام المسلمين بذلك حتى سقوط القدس بيد القوات الإسرائيلية في عام 1967، يؤكد مدى احترام الإسلام لليهودية، رسالة من عند الله.

إن هذه الروابط الإسلامية مع المسيحية ومع اليهودية هي التي تجعل من القدس – من وجهة نظر إسلامية تحديداً – ملتقىً روحياً لجميع المؤمنين بالإله الواحد. وهي التي تفيض على المدينة قداسة وروحية سامية. ومن هنا فإن تهويدها على الشكل الذي يجري حالياً لا ينتهك حرمة مقدسات إسلامية ومسيحية فقط، وهو لا ينتقص من الحق الوطني للشعب الفلسطيني فقط، ولكنه إضافة إلى ذلك كله، يوجّه الطعنات المدمّرة إلى جوهر العلاقات

الروحية البناءة التي تشدّ الإسلام والمسيحية واليهودية باعتبارها رسالات إلهية تدعو إلى الإيمان بالله الواحد وإلى إقامة السلام والمحبة بين الناس.

محمد السماك

بيروت 1/2/2006

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مقدمة الطبعة الأولى

ليس هذا الكتاب مجرد زائد واحد إلى عدد الكتب التي تتحدث عن القدس. فما أردته كتاباً عن تاريخ المدينة المقدسة. ولا عن أهميتها الدينية أو السياسية. إنني أعرف جيداً ان المكتبة العربية لا تشكو من نقص في عدد الكتب التي تتناول هذه الجوانب الهامة من قضية القدس. ولكنني حاولت من خلال هذا الكتاب أن أقوم بمحاولة متواضعة لإلقاء الضوء على موقع القدس في القرار السياسي الأميركي، وعلى دورها كنقطة التقاء بين الصهيونية اليهودية والصهيونية المسيحية، أي بين الجماعات اليهودية التي تنتظر مجيء المسيح، والجماعات المسيحية التي تنتظر العودة الثانية للمسيح. وموقع المسجد الأقصى في عمليتي الانتظار.

لقد فشل العالم العربي في منع تهويد المدينة المحتلة. وفشل العالم الإسلامي في تحريرها كما التزم في قمة منظمة المؤتمر الإسلامي التي عُقدت في الطائف في عام 1981. وفشلت منظمة الأمم المتحدة في تطبيق القرارات التي اتخذتها والتي تتعلق بتقرير مصير المدينة وفقاً للشرعية الدولية (الوثيقة السادسة المرفقة بهذا الكتاب).

انطلاقاً من هذا الفشل العربي والإسلامي والدولي معاً، فإن الرهان على صمود الشعب الفلسطيني المستفرَد والمستضعَف ليس كافياً. وليس عملياً. من هنا لا بد من إعادة نظر عميقة وشاملة تقود إلى الاعتراف بأن الفشل لم يكن نتيجة تدخلات وضغوط خارجية أو أميركية حصراً، ولكنه كان في الدرجة الأولى نتيجة عجز ذاتي أيضاً. ثم انه ما كان لهذا العجز ان يصل إلى المستوى الخطير الذي وصل إليه لو لم تُهمَل قوتان هامتان:

تتمثل القوة الأولى في المسيحيين العرب والمشرقيين الذين يعتبرون انفسهم عن حق اصحاب قضية القدس والمعنيين دينياً وقومياً بمنع تهويدها، وبالعمل على تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي، والذين لم يتمكنوا ولم يفسح لهم المجال لأداء دور في مستوى ايمانهم.

وتتمثل القوة الثانية في المراجع المسيحية الدولية (الفاتيكان، ومجلس الكنائس العالمي والعديد من المجالس الكنسية الأخرى) التي تتعاطف مع عدالة القضية الفلسطينية وترفض الاحتلال الإسرائيلي للقدس؛ واذا لم يقم تعاون جدي مع هذه المراجع فليس لجهل العرب والمسلمين بمواقفها، إنما لعدم الثقة بهذه المواقف المعلنة والمعروفة والتي ثبت انها مواقف ايمانية تعرّضت ولا تزال تتعرض بسببها إلى الابتزاز والمقاطعة.

يشكل المسيحيون العرب قوة مهدورة من حيث قدرتهم على أداء دور جسر اتصال مع المراجع المسيحية الأخرى في العالم. ولكن الأمر الذي يعطل عليهم أداء هذا الدور القومي الذي يؤمنون به، هو شعورهم بأن المواطنة بما تفرضه من مساواة بين المواطنين غير مصانة وغير محترمة. لقد كانت هناك خصوصية فلسطينية رفعت المواطنة تاريخياً إلى مستوى الجامع، ولكنها تراجعت بعد النسكة وظهور حركة المقاومة التي استقطبت على أساس يساري مرة وعلى أساس قومي ملتبس بالإسلامي مرة أخرى، ما جعل الشراكة المسيحية تقتصر على خيارات أفراد اضطروا أحياناً إلى حجب مسيحيتهم.

أما على المستوى الدولي، فإن المراجع المسيحية تشكل قوة مهدورة أيضاً من حيث قدرتها على التأثير في صناعة القرار السياسي في دولها بما يخدم عدالة قضية القدس خاصة والقضية الفلسطينية عامة، ولكن الأمر الذي يعطل هذا الدور هو شعور هذه المراجع بأن الإسلام رافض للآخر، وانه يأبى التعايش الا مع نفسه، من خلال نظرية "الفسطاطين" أو نظرية "دار الايمان ودار الحرب"!

إن احترام حقوق المواطنة في الدول العربية والإسلامية، والانفتاح على المراجع الروحية المسيحية الدولية (الكاثوليكية والارثوذكسية والانجيلية) وكذلك على المؤسسات الدولية التي تعنى بحقوق الانسان وبالسلام العالمي، يؤسس لعمل إسلامي - مسيحي مشترك يستدرك ما فات من جراء فشل العمل الإسلامي - الإسلامي الذي لم يؤت ثماراً في القدس ولا حتى أزهاراً.

إن تحرير القدس من التهويد ومن الاحتلال، يتطلب تحرير أنفسنا أولاً من الشعور بالعجز، وإعادة بناء مجتمعاتنا على قواعد احترام حقوق الانسان وحقوق المواطنة، وتصحيح صورتنا في العالم بعد ان أدت العمليات الارهابية المنسوبة إلى الإسلام، ظلماً وافتراء، إلى زيادة بشاعة الصور النمطية المنغرزة أساساً في بعض الثقافات الغربية. من أجل ذلك فإن هذا الكتاب يدعو إلى عمل إسلامي - مسيحي دولي لا ينطلق فقط من الايمان بأن المسلمين والمسيحيين هم اصحاب قضية واحدة، ولكنه ينطلق أيضاً وبالضرورة من التعاون القائم على الثقة والاحترام المتبادلين بهدف انقاذ القدس من الضياع قبل فوات الأوان!

محمد السماك

بيروت 1/1/2005

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

المسجد الأقصى
من التحرير إلى الاحتلال

"لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" حديث شريف.

636م. فتح الخليفة عمر بن الخطاب القدس وبنى مسجده في ساحة الحرم الشريف بعد ان امتنع عن الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يتخذ المسلمون منها أو من جزء منها مسجداً من بعده.

685م. بدأ عبد الملك بن مروان بناء قبة الصخرة المشرفة.

691م. الانتهاء من بناء قبة الصخرة.

693م. بدأ عبد الملك بن مروان بناء المسجد الأقصى وأتمّ بناءه ابنه الوليد.

705م. الانتهاء من بناء المسجد الأقصى.

15 - 7 - 1099 م. احتلّ الفرنجة القدس وحوّلوا قبة الصخرة إلى كنيسة، كما حولوا المسجد الأقصى إلى اصطبلات لخيولهم.

2 - 10 - 1187 م. حرّر صلاح الدين الأيوبي القدس من الفرنجة، وطهر قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى واعاد ترميمهما.

1918م. احتل الجنرال البريطاني ادموند اللنبي القدس.

1929م. انطلاق ثورة البراق (الحائط الغربي للمسجد الأقصى) لمنع اليهود من السيطرة عليه.

16 - 7 - 1948 م. نشوب الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى. وتعرّض الحرم إلى ستين قنبلة إسرائيلية اصابت احداها مسجد قبة الصخرة، وأصابت أخرى المسجد الأقصى.

7 - 6 - 1967 م. احتلت القوات الإسرائيلية مدينة القدس ورفعت علم إسرائيل فوق قبة الصخرة المشرفة.

11 - 6 - 1967 م. بدأت إسرائيل الحفريات في الحرم القدسي وحوله.

15 - 8 - 1967 م. إقامة أول صلاة يهودية في ساحة الحرم الشريف برئاسة الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيلي شلوموغورن.

21 - 8 - 1969 م. تنفيذ أول عملية لإحراق المسجد الأقصى على يد أصولي انجيلي متصهين من أصل استرالي يدعى "دينيس مايكل روهان".

8 - 10 - 1991 م. ارتكاب مجزرة في ساحة الأقصى على يد الجيش الإسرائيلي حيث قتل وجرح المئات من المصلين.

27 - 9 - 2000م. أرييل شارون ينتهك حرمة المسجد الأقصى بحماية قوات عسكرية إسرائيلية، مما ادى إلى انطلاق انتفاضة الأقصى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القدس مدينة الإيمان

ليست القدس مدينة عادية. القدس هي مدينة الايمان. اليهود يعتقدون ان خروج الموتى من الأجداث (القبور) يوم القيامة سيتم من وادي كيدرون في القدس. وهم يؤمنون بأن أبا الأنبياء ابراهيم عليه السلام همّ بذبح ابنه استجابة لنداء الله في القدس، وان الله تدخّل في اللحظة الأخيرة وفداه بكبش سمين. والمسلمون يؤمنون بأن الله اسرى بالنبي محمد عليه السلام من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس. ومن هناك عرج محمد (ص) إلى السماء. والمسيحيون يؤمنون بأن المسيح عليه السلام قتل وصلب ودفن في القدس ثم خرج من القبر في عملية الهية اعجازية لانقاذ البشرية من آثامها ومعاصيها. هنا في القدس يبحث اليهود عن تابوت العهد ويستعدون لإعادة بناء الهيكل، بانتظار ظهور المسيح "الحقيقي" الذي يعتقدون انه سيقود الناس من القدس إلى الجنة.

إن للقدس تاريخاً يعود إلى ثلاثة آلاف عام قبل المسيح. احتلّها الملك داود من أهلها الكنعانيين حوالي ألف عام قبل المسيح ووحد فيها قبيلة يهودة مع قبائل بني إسرائيل الشمالية. وتروي التوراة كيف استولى داود على القدس بالخداع، وكيف تسلل جنوده في صناديق مموهة (على طريقة اسطورة حصان طروادة الشهيرة) عبر شبكة من الأنفاق حتى وصلوا إلى نهر جيحون ومن ثم إلى المدينة. وتقوم الآن "مؤسسة القدس" (وهي مؤسسة أميركية يمولها اليمين الانجيلي المتطرف في الولايات المتحدة) بالبحث عن اثار تلك الحملة. وقد اكتشفت قلعة كنعانية تعود إلى العام 1300 ق.م. وعثرت فوق اطلال القلعة على بقايا أفران تعود إلى حوالي ألف عام ق.م. يعتقد انها تعود إلى الفترة الداودية.

إن فشل البحث عن آثار تكرّس يهودية القدس كان أحد العوامل التي دفعت بالباحثين إلى طمس المعالم التاريخية لمسيحيتها وإسلاميتها، وفي الحالتين لعروبتها.

فمنذ أن حرّر عمر بن الخطاب الخليفة الإسلامي الثاني المدينة عام 638 ميلادية بقيت القدس عربيةً حتى عام 1099 عندما احتلها الفرنجة(الصليبيون) لمدة قرن من الزمن تقريباً، عادت بعدها المدينة عربية إلى أن احتلها الانكليز في عام 1917 بقيادة الجنرال ادموند اللنبي. يومها ردد اللنبي عبارته الشهيرة: "الآن انتهت الحروب الصليبية". غير ان الاحتلال البريطاني انتهى في عام 1948 بقيام إسرائيل وبتقسيم المدينة المقدسة إلى شطرين، شطر غربي إسرائيلي، وشطر شرقي عربي. استمر هذا الوضع حتى عام 1967 عندما شنت إسرائيل الحرب على مصر وسوريا والأردن فاحتلت سيناء حتى

قناة السويس، واحتلت مرتفعات الجولان بما في ذلك جبل الشيخ، واحتلت الضفة الغربية من الأردن، بما في ذلك القدس الشرقية وذلك في اليوم الثالث من الحرب.. وبذلك أُخضعت المدينة لأول مرة منذ 1800 سنة إلى السيطرة اليهودية العسكرية والسياسية والادارية الكاملة!!

في عام 1980 أعلن الكنيست (البرلمان) الإسرائيلي القدس عاصمة موحدة لإسرائيل. وبدأت عملية التضييق على اهاليها العرب المسلمين والمسيحيين لإبعادهم ولتوطين اليهود مكانهم. صادرت السلطات الإسرائيلية خمسة آلاف هكتار من الأراضي العربية المجاورة للقدس وحولتها إلى مستوطنات يهودية، ثم تواصلت عملية المصادرة وبناء المستوطنات، حتى أصبح عدد اليهود في القدس أكثر من عدد الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين. وابتلع مخطط التوسعة الاستيطاني عشر قرى عربية أخرى.. ولم يبق من القدس التاريخية سوى كيلومتر مربع واحد (اصغر من الفاتيكان) يشكل البقية الباقية من المدينة المقدسة داخل الأسوار.

في هذا الكيلومتر المربع يوجد الحرم الشريف وقبّة الصخرة ومسجد عمر وغيرها من المقدسات الإسلامية. وفيه توجد كنيسة المهد والقبر المقدس ومقدسات مسيحية عديدة أخرى. وفيه الحائط الغربي (حائط المبكى) الذي يعتقد اليهود انه الأثر الوحيد الباقي من هيكل سليمان. وفي تلة صهيون المطلة على المدينة يوجد قبر داود، وموقع العشاء السري الأخير، وفي تلة الزيتون يوجد الجثمانية وهو الموقع الذي بعث فيه المسيح حياً وصعد إلى السماء، كما يوجد قبر مريم ويوسف والكنيسة التي تقوم عليهما. من أجل ذلك يتمتع هذا الكيلومتر المربع الواحد بحضور ديني كثيف تشمل قوته الروحية العالم كله.

تنكر اليهودية الإسلام والمسيحية ولا تعترف بأي منهما. وبالنسبة إليها فإن السيد المسيح لم يأت بعد. اما النبي محمد عليه السلام فليس بنبي. فالنبي عندها يكون يهودياً أو لا يكون. ويقوم جوهر الايمان اليهودي على عقيدة انتظار المسيح الحقيقي (؟) من بين اليهود على اعتبار ان المسيح عيسى ابن مريم ليس في اعتقادهم المسيح الحقيقي بل انه ثمرة علاقة بين مريم المجدلية ويوسف النجار. وتشكل هذه المقولة المحور الذي تقوم عليه رواية "شيفرة دافنشي" Davinci Code للكاتب الأميركي دين براون Dean Brown. هذه الثقافة الدينية اليهودية الالغائية للدين الآخر تمارس في القدس وتحاول ان تحدد مصيرها ومستقبلها: ان عمليات تهويد المدينة تتواصل على حساب الحضور العربي الإسلامي والمسيحي معاً.

ففي عام 1948 كان عدد المسيحيين في القدس يبلغ 25 الفاً، وكان من بين كل عشرة مسيحيين تسعة من العرب. في عام 1982 انخفض العدد إلى 12

ألف مسيحي فقط. أما الآن فلا يزيد عدد المسيحيين على ثمانية آلاف. فأي مستقبل لمدينة هي مهد المسيح، إذا أصبحت بلا مسيحيين؟ لقد حولت إسرائيل ديراً ارثوذكسياً إلى مبنى ملحق بوزارة العدل. وحوّلت ديراً تابعاً للكنيسة الروسية إلى محكمة. ومن سوء الطالع أن البطريرك الارثوذكسي اليوناني في القدس ذهب بعيداً في تساهله ببيع الأملاك الموقوفة للكنيسة إلى الإسرائيليين، الأمر الذي أثار معارضة شديدة من الكنائس الارثوذكسية العربية. وعندما حاولت إسرائيل تحويل دير ارثوذكسي آخر إلى ملهى سياحي تجمدت تلك العملية تحت تأثير ردّ الفعل المسيحي الارثوذكسي العربي المعارض.

وتشمل هذه الاجراءات التهويدية الصروح الإسلامية أيضاً. إن توسيع الحي اليهودي في المدينة اطاح بخمسة مساجد وعدة مدارس دينية ملحقة بها. وعندما احتلت إسرائيل القدس في عام 1967 هدمت الحي المغربي المجاور للحرم بحجة إقامة ساحة تسهل الوصول إلى حائط المبكى. لذلك ابدى علماء الاثار الغربيون قلقاً على مصير الصروح الدينية التاريخية في المدينة؛ وقد احصت مؤسسة انكليزية وجود 30 صرحاً إسلامياً دينياً من العهدين الأموي والعباسي، و79 صرحاً من العهد المملوكي و37 صرحاً من العهد العثماني. إن عدداً كبيراً من هذه الآثار قد أزيل كلياً أو جزئياً. وبعضها الآخر يتداعى بفعل مرور الزمن من دون ان تسمح السلطات الإسرائيلية بصيانته أو ترميمه.

جنباً إلى جنب مع هذه الاجراءات تبحث إسرائيل عن الاثار اليهودية لابرازها. ولم يغير من هذا الوضع عدم اعتراف مجلس الأمن الدولي بموجب قراره رقم 252 الصادر في عام 1968 بشرعية هذه الاجراءات، فاليهود بنوا الهيكل الأول في عام 950 ق.م. وهو الهيكل الذي دمره البابليون في عام 586 - 587 ق.م. ثم بنوا الهيكل الثاني في عام 515 ق.م. ودمره الرومان في عام 70 ق.م. ورغم ان علماء الآثار لم يجدوا أي أثر لأي من الهيكلين ولم يحددوا المكان الذي اقيما عليه، فإن اليهود يصرّون على ان الهيكلين شيدا في الموقع نفسه الذي تقوم عليه الصروح الإسلامية المقدسة، وخاصة المسجد الأقصى وجواره وقبة الصخرة التي بناها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في عام 685 م.

إن مدينة الإيمان التي لعبت منذ ان دخلها الإسلام دور المدينة الجامعة بين أهل الكتاب جميعاً، تتحول تحت الاحتلال الصهيوني منذ عام 1967 إلى مدينة يهودية تضيق بالمسلمين وبالمسيحيين وتلغي تدريجياً كل وجود ديني أو قومي لهم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

البداية: وعد بلفور

في عام 1880 تبنّى الاسقف الانغليكاني في فينّا وليم هشلر النظرية التي تقول ان المشروع الصهيوني هو مشروع إلهي وان العمل على تحقيقه يستجيب للتعاليم التوراتية.

هناك في فينا تعرّف هشلر على ثيودور هرتزل وعلى مشروعه؛ واستطاع ان يوظف علاقاته الدينية والدبلوماسية لترتيب لقاءات له مع القيصر الالماني ومع السلطان العثماني، وذلك لمساعدته على إقامة وطن يهودي في فلسطين. ورغم ان تلك اللقاءات باءت بالفشل، فإن هشلر لم ييأس. فقد انتقل إلى بريطانيا حيث رتّب في عام 1905 لقاء لهرتزل مع آرثر بلفور.

ومن هناك انطلقت المسيرة نحو تأمين غطاء من الشرعية الدولية للمشروع الصهيوني. كان لويد جورج رئيس الحكومة أكثر شغفاً بالمشروع الصهيوني واشد حماسة له من بلفور. فكان الوعد الذي صدر في الثاني من نوفمبر - تشرين الثاني 1917 بمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين.

حمل الوعد توقيع وزير الخارجية في ذلك الوقت آرثر بلفور.

من هو بلفور؟

وما هي خلفية الوعد الذي أصدره؟

وما علاقة الوعد بالقدس؟

كان بلفور من المؤمنين بأن التاريخ ليس سوى اداة لتنفيذ الهدف الالهي. وان الانسان مكلف بالعمل على تنفيذ هذا الهدف وان أول ما يتطلبه منه ذلك، الايمان اولاً بأن ثمة هدفاً إلهياً، وثانياً بإمكانية تحقيق هذا الهدف اياً تكن الصعوبات.

آمن بلفور كما أوضح في كتابه العقيدة والانسانية "Theism and Humanity" ان الله أغدق على اليهود تعهدات ووعوداً بالعودة إلى أرض الميعاد، وان هذه العودة هي شرط مسبق للعودة الثانية للمسيح. وان هذه العودة الثانية تحمل معها خلاص الانسانية من الشرور والمحن ليعمّ السلام والرخاء مدة ألف عام تقوم بعدها القيامة وينتهي كل شيء كما بدأ.

اكتسب بلفور هذه الثقافة من عائلته، وخاصة من والدته التي تركت في شخصيته الدينية بصمات واضحة من ايمانها بالعقيدة البروتستنتية المرتبطة أساساً بالعهد القديم وما فيه من نبوءات توراتية.

ولذلك فإن بلفور عندما صاغ الوعد بمنح اليهود وطناً في فلسطين، كان يعتقد انه بذلك يحقق ارادة الله، وانه يوفر الشروط المسبقة للعودة الثانية للمسيح وبالتالي، فانه من خلال مساعدة اليهود على العودة فانه يؤدي وظيفة العامل على تحقيق هدف إلهي.

مع ذلك لم يكن بلفور قادراً على ان يجعل من الوعد أساساً مركزياً في السياسة البريطانية لو لم يكن يشاركه في ذلك شخص آخر هو لويد جورج رئيس الحكومة في ذلك الوقت.

فقد ذكر لويد جورج في كتابين له هما "حقيقة معاهدات السلام" و"ذكريات الحرب" ان حاييم وايزمن الكيمائي الذي قدم خدماته العلمية لبريطانيا في الحرب العالمية الأولى هو الذي فتح له عينيه على الصهيونية، حتى اصبح أكثر صهيونية من وايزمن نفسه.

وهكذا عندما تشكلت الحكومة البريطانية من لويد جورج رئيساً ومن ارثر بلفور وزيراً للخارجية، بدا وكأن كل شيء بات مؤهلاً لتمرير بيان الوعد.

في عام 1952 نشرت وزارة الخارجية البريطانية وثائق سرّية عن فترة 1919 - 1939، بما فيها تلك التي تتعلق بتوطين اليهود في فلسطين.. ويتضمن المجلد الرابع من المجموعة الأولى، في الصفحة السابعة نقلاً عن مذكرة وضعها آرثر بلفور وزير الخارجية البريطاني في عام 1917 ما يأتي:

"ليس في نيّتنا حتى مراعاة مشاعر سكان فلسطين الحاليين، مع ان اللجنة الأميركية تحاول استقصاءها. إن القوى الأربع الكبرى ملتزمة بالصهيونية. وسواء أكانت الصهيونية على حق أم على باطل، جيدة أم سيئة، فانها متأصلة الجذور في التقاليد القديمة العهد والحاجات الحالية وآمال المستقبل، وهي ذات أهمية تفوق بكثير رغبات وميول السبعمائة ألف عربي الذين يسكنون الآن هذه الأرض القديمة".

أما بالنسبة للاستيطان اليهودي في فلسطين فقد أوصى في الجزء الاخير من هذه المذكرة بما يلي:

اذا كان للصهيونية أن تؤثر على المشكلة اليهودية في العالم فينبغي ان تكون فلسطين متاحة لأكبر عدد من المهاجرين اليهود. ولذا فإن من المرغوب فيه ان تكون لها السيادة على القوة المائية التي تخصّها بشكل طبيعي سواء اكان ذلك عن طريق توسيع حدودها شمالاً (أي باتجاه لبنان) أم عن طريق عقد معاهدة مع سورية الواقعة تحت الانتداب (الفرنسي) والتي لا تعتبر المياه المتدفقة من جبل الشيخ - "الهامون" - جنوباً ذات قيمة بالنسبة لها. وللسبب ذاته يجب ان تمتد فلسطين لتشمل الأراضي الواقعة شرقي نهر الاردن".

لم يكن العامل الديني السبب الوحيد وراء اصدار الوعد. كانت هناك مصالح ذات بعد استراتيجي. وقد توافق العمل على خدمة هذه المصالح ورعايتها مع الايمان الديني بالصهيونية المسيحية مما ادى إلى الالتزام بالوعد وبتنفيذه.

ففي الأساس كانت بريطانيا قلقة من جراء هجرة يهود روسيا وأوروبة الشرقية الذين كانوا يتعرضون للاضطهاد. وفي عام 1902 تشكلت "اللجنة الملكية لهجرة الغرباء".

استدعي هرتزل إلى لندن للإدلاء بشهادته امام اللجنة. فقدم مطالعة قال فيها:

"لا شيء يحلّ المشكلة التي دعيت اللجنة لبحثها وتقديم الرأي بشأنها سوى تحويل تيار الهجرة الذي سيستمر بقوة متزايدة من أوروبا الشرقية. إن يهود اوروبا الشرقية لا يستطيعون ان يبقوا حيث هم فأين يذهبون؟ اذا كنتم ترون ان بقاءهم هنا - أي في بريطانيا - غير مرغوب فيه، فلا بد من ايجاد مكان آخر يهاجرون إليه دون ان تثير هجرتهم المشاكل التي تواجههم هنا. لن تبرز هذه المشاكل اذا وجد وطن لهم يتم الاعتراف به قانونياً وطناً يهودياً".

اقترح تشمبرلين - وكان رئيساً للحكومة - منطقة العريش لتكون وطناً لليهود. ولكن لجنة الخبراء الصهيونيين رفضت الاقتراح لأن العريش تفتقر إلى المياه، ثم لأن توطين اليهود فيها يثير مشاكل لبريطانيا مع مصر. ثم اقترحت الحكومة البريطانية برئاسة اللورد آرثر بلفور هذه المرة، تقديم يوغندة لتكون الوطن الموعود. ولكن المؤتمر الصهيوني السادس لم يقبل الاقتراح لافتقار يوغندا إلى عنصر الجاذبية اللازم لاستقطاب اليهود ولحثّهم على الهجرة اليها، والمتمثل أساساً في القدس.

في ذلك الوقت كان همّ الحكومة البريطانية وقف تدفق اليهود من اوروبة الشرقية. ولذلك فقد قدمت مشروع قانون إلى مجلس العموم لوقف الهجرة في عام 1904 ثم اضطرت إلى سحبه تحت ضغط المعارضة. وأعادت تقديمه ثانية في عام 1905 وأصبح قانوناً في العام التالي.

هنا كان لا بدّ بعد تشريع وقف الهجرة من تأمين ملجأ بديل، فكان قرار بلفور بمنح فلسطين وطناً لليهود. كان لويد جورج رئيساً للحكومة وآرثر بلفور وزيراً للخارجية عندما وضع التشريع التوطيني، كانت بريطانيا تعتبر احتلال فلسطين ضرورة استراتيجية الا ان طموحها الاحتلالي كان يصطدم بمبادئ الرئيس الأميركي ودرو ولسون حول حق الشعوب في تقرير مصيرها. فجاء وعد بلفور بمثابة عملية التفافية على هذه لمبادئ، وذلك باحتلال فلسطين من خلال توطين اليهود. وهكذا صدر الوعد في الثاني من نوفمبر 1917 ليعطي من لا يملك – بريطانيا - إلى من لا يستحق - اليهود.

كان بإمكان بريطانيا التدخل لمنع تهجير اليهود من اوروبة الشرقية، إلا أنها وجدت ان لها مصلحة في توظيف هذه العملية في برنامج توسعها في الشرق الأوسط، فحوّلت قوافل المهاجرين إلى فلسطين بعد ان منحتهم الوعد بالوطن وبعد ان وفرت لهم الحماية والمساعدة اللازمتين.

ولعل من أبرز الدلالات على الربط الستراتيجي بين أهداف الحركة الصهيونية وأهداف الدولة البريطانية ما ذكرته صحيفة "مانشستر غارديان" بقلم رئيس تحريرها في ذلك الوقت 1916 - تشارلز سكوت الذي قال:

"كانت بلاد ما بين النهرين مهد الشعب اليهودي ومكان منفاه في الأسر. وجاء من مصر موسى مؤسس الدولة اليهودية. واذا ما انتهت هذه الحرب بالقضاء على الامبراطورية التركية في بلاد ما بين النهرين وأدت الحاجة إلى تأمين جبهة دفاعية في مصر إلى تأسيس دولة يهودية في فلسطين فسيكون القدر قد دار دورة كاملة".

اما عن أهل فلسطين، فإن الكلام الذي يقال اليوم هو نفسه الكلام الذي كان يقال قبل 82 عاماً أيضاً. فقد قال سكوت:

"ليس لفلسطين في الواقع وجود قومي أو جغرافي مستقل الا ما كان لها من تاريخ اليهود القديم الذي اختفى مع استقلالهم ولذلك، فعندما اطلق عليها بلفور اسم وطن قومي لم يكن يعطي شيئاً يخص شخصاً آخر. انها روح الماضي التي لم يستطع الفا عام ان يدفناها والتي يمكن ان يكون لها وجود فعلي من خلال اليهود فقط. لقد كانت فلسطين هي الأرض المقدسة للمسيحيين اما بالنسبة لغيرهم فإنها تعتبر تابعة لمصر أو سورية أو الجزيرة العربية، ولكنها تعد وطناً قائماً بذاته بالنسبة لليهود فقط".

اعتبر وعد بلفور جزءاً من الانتداب البريطاني على فلسطين. وهو انتداب قرره في مؤتمر سان ريمو 1902 المجلس الاعلى لقوات الحلفاء. وفي عام 1922 أقرّت عصبة الأمم الانتداب بما فيه الوعد. بعد الحرب العالمية الثانية وما رافقها من مجازر نازية، اتسع نطاق الهجرة اليهودية من اوروبة الغربية هذه المرة إلى فلسطين، وتحوّل الوعد بوطن قومي لليهود إلى دولة سرعان ما اعترفت بها رسمياً منظمة الأمم المتحدة في عام 1948.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القدس الأقصى الهيكل

يرتبط الاسراء والمعراج بالقدس، التي سُميت قدساً لأن الله باركها وقدّسها. وقد خصّ الله سبحانه وتعالى هذه المدينة على مدى التاريخ بفيض من نعمه وبركاته، فهي أول مكان انحسرت عنه مياه الفيضان أيام نوح عليه السلام. وكان المسجد الأقصى في بيت المقدس أول كعبة للإسلام وجّه المسلمون وجوههم شطره، وفيها حدثت البشرى لمريم بابنها عيسى عليهما السلام، وفيها كما تذكر روايات دينية هزت مريم النخلة فتساقطت عليها رطباً جنياً.

وفي بيت المقدس انطلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء ليتلقى الوحي بأداء الصلاة خمس مرات في اليوم وهي ركن من اركان الإسلام الخمسة. ولذلك كرّم الله سبحانه وتعالى المدينة بآية كريمة في القرآن الكريم هي فاتحة سورة الاسراء.

ولان للقدس هذه المكانة الرفيعة عند الله فقد تعمّد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يتجه إلى المدينة فور تحريرها في عام 638 م. من البيزنطيين ليتسلّم مفاتيحها بنفسه. وقام عمر بجمع الأوساخ والنفايات في ردائه من موقع الصخرة حيث عرج النبي إلى السماء، واقتدى به جنود الجيش الإسلامي فقاموا بتنظيف الموقع وتطهيره. وبعد ذلك وضع عمر حجر الأساس للمسجد الذي يحمل اسمه حتى الآن والذي تعرّض لحريق مدبّر على يد مستوطن يهودي في عام 1969.

سار على نهج عمر بن الخطاب من بعده عبد الملك بن مروان الذي شيّد مسجد قبة الصخرة، ثم ابنه الوليد الذي شيّد المسجد. ويذكر التاريخ انه ما ان حرّر المسلمون القدس من البيزنطيين في عام 636 م. (15 هـ) حتى سجلوا سابقتين تؤكدان سماحة الإسلام وتقديره لأهل الكتاب.

كانت المبادرة الأولى نحو المسيحيين الذين اعطاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، العهد الموثوق باحترام كنائسهم وبيوتهم وسائر ممتلكاتهم. وهو العهد المعروف باسم العهدة العمرية11. حتى ان عمر رفض ان يستجيب لدعوة بطريرك المدينة بأداء الصلاة في كنيسة القيامة حتى لا يقيم المسلمون من بعده مسجداً في مكان صلاته.

وكانت المبادرة الثانية باتجاه اليهود انفسهم الذين منعوا طوال العهد الروماني "البيزنطي" الذي استمر 300 سنة تقريباً من الإقامة في المدينة المقدسة. فرفع عنهم الحرمان ومنحهم حقوق أهل الكتاب كما نصت عليها الشريعة الإسلامية السمحاء.

استمرت القدس إسلامية عربية منذ الفتح الإسلامي حتى الحرب العالمية الأولى، وباستثناء فترة الحروب الصليبية عندما حرّرها صلاح الدين الأيوبي عام 1187. ولكن عندما دخلت القوات البريطانية القدس إبان الحرب العالمية الأولى ردد الجنرال اللنبي عبارته الحقودة: "الان انتهت الحروب الصليبية". وعندما دخل الجنرال غورو دمشق إبان الحرب العالمية الثانية، رفس بجزمته ضريح صلاح الدين وهو يردد: "ها قد عدنا يا صلاح الدين".

هكذا كان الرد على السماح والتسامح الإسلاميْن؛ انتهاكاً للحرمات واحتلالاً للمقدسات وتجريحاً للكرامات.

لقد اعطت بريطانيا التي لا تملك، اليهود الذين لا يستحقون، وعد بلفور بإقامة وطن يهودي على انقاض الوطن الفلسطيني، فكانت القدس هي الهدف الأول وكانت الضحية الأساس.

احتلت إسرائيل القدس الغربية في عام 1948. ثم القدس الشرقية في عام 1967، واعلنتها بعد ذلك عاصمة ابدية موحدة لها غير عابئة بحقوق الشعب الفلسطيني ولا مكترثة بالمشاعر الدينية لأكثر من مليار مسلم من المحيط الأطلسي إلى المحيط الباسيفيكي ينظرون إلى هذه المدينة نظرة مقدسة مستمدة من صفتها الدينية بأنها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

تنكّرت إسرائيل لجميع قرارات الأمم المتحدة بشأن القدس، منذ قرار التقسيم الذي نص على منح القدس نظاماً خاصاً حتى قرار رفض التهويد والضم وتغيير المعالم التاريخية والديموغرافية للمدينة. وهكذا في الوقت الذي لا يوجد عربي واحد في القدس الغربية، يستوطن بالقوة 160 ألف يهودي في القدس الشرقية. وهكذا أيضاً في الوقت الذي كان اليهود يملكون واحداً بالمئة فقط من القدس الشرقية وضواحيها فانهم يصادرون الآن أكثر من 75 بالمئة منها.

إن القدس تذوب مثل حبة سكر في بحر الاحتلال الإسرائيلي البغيض، يساهم في ذلك عاملان أساسيان: العامل الأول هو التخاذل العربي والإسلامي. ذلك ان كل مقررات جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي بتحرير القدس وبوضع استراتيجية إسلامية عربية موحدة لتحرير المدينة ولمجابهة خطر التوسع الإسرائيلي ذهبت ادراج الرياح.

أما العامل الثاني فهو التواطؤ الأميركي. وقد بلغ هذا التواطؤ حد اتخاذ الكونغرس بمجلسيْه الشيوخ والنواب قراراً بنقل مقر السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس، أي باعتبار القدس عاصمة لإسرائيل. والأرض الذي ستقيم الولايات المتحدة سفارتها عليها في القدس هي أرض حرام، ذلك ان جزءاً منها هو ملك للأوقاف الإسلامية في المدينة المقدسة، والجزء الثاني

ملك لعائلات فلسطينية (آل الخالدي)، الأمر الذي يعطي القرار الأميركي وصيغة تطبيقه بعداً عدائياً للحقوق الإسلامية الدينية وللحقوق الوطنية الفلسطينية.

إن إسرائيل التي لا تملك الأرض تمنحها لمن لا يستحق لإقامة سفارة عليها تكرس تهويد المدينة. وهي تعمل على تدمير المسجد الأقصى لبناء ما تسمّيه الهيكل الثالث. غير ان بناء هيكل يهودي للتعبّد شيء، وتدمير المسجد الأقصى وقبة الصخرة وبناء الهيكل على انقاضه شيء آخر. الذين يريدون بناء الهيكل فريقان.

الفريق الأول من اليهود الذين يعتبرون انجاز هذا المشروع بمثابة تكريس ليهودية إسرائيل، وانطلاقة جديدة نحو تهويد بقية المناطق المحتلة من فلسطين. والفريق الثاني من غير اليهود ومن غير الإسرائيليين، وتحديداً هم فئة من المسيحيين الأميركيين البروتستانت الذين يعتبرون بناء الهيكل شرطاً مسبقاً لا بد منه من أجل عودة المسيح.

يلتقي الفريقان عند قاسم مشترك وهو تدمير المسجد الأقصى وقبة الصخرة. الفريق الأول من اليهود يعتبر ان من يسيطر على ما يسمونه جبل الهيكل - حيث يقوم المسجد وترتفع القبة - يسيطر على القدس. وان من يسيطر على القدس يسيطر على فلسطين. كان بإمكان هؤلاء اختيار أي موقع آخر لبناء هيكلٍ بعد ان اثبتت الحفريات الاثرية التي قام بها عالِم الآثار الأميركي غورون فرانز - بتكليف من معهد الأرض المقدسة في القدس - عدم وجود أي دليل على ان المسجد الأقصى يقوم في موقع هيكل سليمان.

إلا أن وجود المسجد ووجود القبة يعطيان القدس صورة المدينة الإسلامية بامتياز. وهم يريدون ازالة هذا الرمز لإعطاء القدس من خلال بناء الهيكل صورة المدينة اليهودية بامتياز.

أما الفريق الثاني فانه غير معني ببناء الهيكل من أجل العبادة. ولكنه معني اولاً وأخيراً بحسابات المعارضة العربية والإسلامية لتدمير المسجد الأقصى، ومن ثم بردّ الفعل العسكري الإسرائيلي على هذه المعارضة، بحيث يفجر حرباً اقليمية تتورط فيها قوى العالم المختلفة، فتقع معركة هرمجيدون التي يؤمنون بانها البوابة الوحيدة لعودة المسيح. وهي العودة التي ينتظرونها ويعملون على التعجيل لها ايماناً منهم بأنها سوف تقضي على اعداء المسيح (أي على المسلمين وعلى المسيحيين غير الانجيليين المتصهينين) وسوف تحمل بقية اليهود على الايمان بالمسيح العائد الذي سيحكم الأرض لمدة ألف عام بعدل يعمّ معه السلام والاطمئنان.

اليهود ينتظرون ظهور المسيح اليهودي. وبموجب قانون هالاشا الذي وضعه اللاهوتي اليهودي بن ميمون في القرن الثاني عشر في الاندلس "يحظر على اليهودي دخول الجبل المقدس إلى أن يأتي المسيح". ومنذ عام 1920 يتجمع عدد من علماء اليهود غروب كل يوم جمعة من كل اسبوع في قرية زريفات قرب مدينة حيفا اعتقاداً منهم بأن المسيح سوف يظهر في هذا المكان وفي هذا الموعد، ومن ثم فانه سوف يقود منتظريه في مسيرة على الأقدام إلى القدس.

أما الفئة من المسيحيين البروتستانت فإنها تؤمن بالعودة وليس بالظهور. وتعتبر ان المسيح قد جاء حقاً إلا أنه سيعود ثانية وان لعودته شروطاً لا بد من توافرها ومنها إقامة صهيون وبناء الهيكل.

وتجمع منظمة امناء الهيكل بين الفريقين باعتبار ان لهما هدفاً مشتركاً وهو تدمير المسجد الأقصى وبناء الهيكل "الثالث". الفريق الأول - اليهودي - يحمل معاول الهدم. والفريق الثاني - الأميركي الانجيلي المتصهين - يوفر الأموال اللازمة لتمويل المشروع كما يوفر له المظلة السياسية التي تحميه من ردود الفعل السلبية. والتمويل ليس فقط من أجل البناء. إنما من أجل اعداد كهنة الهيكل. من أجل ذلك تأسست في واشنطن "مؤسسة معبد القدس" مهمتها جمع التبرعات والمساهمات المالية. وانشأت هذه المؤسسة في مدينة القدس القديمة معهداً خاصاً باسم "ياشيف اتيريت كوهانيم" أي معهد تاج الحاخاميين لإعداد الكهنة الذين سيخدمون في الهيكل الثالث بعد بنائه بما في ذلك مناسك التضحية بالحيوان. كما موّلت عملية تجري منذ سنوات لاختيار حجارة البناء وصقلها وتجميعها في موقع خاص إلى أن تحين ساعة الصفر. وساعة الصفر، أي تدمير المسجد الأقصى يمني النفس بإعلانها يهودي هاجر من جنوب افريقيا في عام 1930 يدعى ستانلي غولد فوت، أعدّ سيناريوهات متعددة لاقتحام المسجد الأقصى بهدف تدميره.

إن عدم ترجمة رد الفعل العربي - الإسلامي إلى واقع وإلى سياسة على الأرض، شجع إسرائيل على المضي قدماً في مشروع تهويد المدينة المقدسة منتهكة بذلك ليس فقط المقدسات الإسلامية والمسيحية فيها، إنما توصيات منظمة اليونسكو التي تنصّ على وجوب عدم تغيير معالم المدينة، ومقررات مجلس الأمن الدولي 242 و338 التي تنصّ على الانسحاب من الأراضي المحتلة بما في ذلك القدس.

إن السلوك الإسرائيلي في القدس هو مثل سلوك المجرم الذي ينتقل من جريمة إلى أخرى لعدم وجود رادع. فالأمم المتحدة عاجزة عن تنفيذ قراراتها، والحماية المعنوية والمادية التي توفرها الولايات المتحدة لإسرائيل تحول دون محاسبتها، وهو أضعف الايمان.

من هنا أهمية التضامن العربي - الإسلامي العملي للوقوف في وجه الانتهاكات الإسرائيلية للمقدسات. ومن هنا أيضاً اهمية التضامن الإسلامي - المسيحي على الصعيدين العربي والدولي للتصدي معاً لمخطط التهويد الذي سرّعت حكومة شارون خطواته، وحاولت ان تفرضه كأمر واقع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تهويد القدس

يلعب التجنيد العسكري في إسرائيل دوراً هاماً في التخفيف من غلواء التمايز العنصري بين اليهود. فالتجنيد اجباري على الشباب بين سن 18 و21. وعلى الشابات بين سن 18 و20. وتفرض الخدمة الاحتياطية على الرجال حتى سن 55، حيث يؤدي الرجل خدمة عسكرية فعلية مدة شهر واحد على الأقل في العام؛ ويتوقف خلال أداء الخدمة العسكرية والتجنيد الاجباري عن العمل أو الدراسة. ويحاول الجيش في تربيته العسكرية إذكاء روح العداء تجاه العرب لاستخدام هذه الروح العدائية في عملية مستمرة لرأب الصدع في المجتمع اليهودي.

فمنذ قيام إسرائيل في 15 مايو - أيار 1948 وقعت ستة حروب مع العرب تعاقبت عليها ثلاثة اجيال من اليهود. ولذلك تخصص إسرائيل ما بين 35 و40 بالمئة من موازنتها السنوية للشؤون العسكرية. ويخرّج الجيش القادة السياسيين لإسرائيل. حتى ان السياسي الذي لم "يتطهر" في خدمة الجيش يبقى دائماً موضع شك كما هو الأمر بالنسبة لرئيس الحكومة السابق شمعون بيريز.

يسيطر اليهود الغربيون الاشكناز على الجيش كما يسيطرون على المزارع الجماعية - الكيبوتز - والتي يبلغ عددها 250 وحدة مرتبطة بالهستيدروت (الاتحاد العمالي). وقد تخرّج من الكيبوتز عدد من الجنرالات وأساتذة الجامعات والقادة السياسيين وذلك على الرغم من ان ثلاثة بالمئة فقط من يهود إسرائيل يعيشون في الكيبوتز. والتربية في الكيبوتز تقوم على أساس الايمان بالقضية - اليهودية - بحيث يتخلى العضو عن الملكية. فهو لا يملك الا الطعام الذي يأكله والشراب الذي يتناوله والملابس التي يلبسها. وما عدا ذلك فهو ملك للكيبوتز وللقضية.

واذا كانت مجمعات الكيبوتز تخرّج المتطرفين اليهود في الجيش والادارة والاقتصاد، فإن مجمعات "باشيفا" تخرج رجال الدين الاصوليين الذي يستعدون لمرحلة ظهور المسيح. ففي هذه المدارس الدينية يتم اعداد "الكوهانيم" وهم فئة من رجال الدين المتخصصين في اعداد وتقديم الضحايا في مذبح معبد سليمان عندما يُعاد بناؤه.

وقد تألفت في الولايات المتحدة منذ احتلال إسرائيل للقدس في عام 1967 هيئات دينية من اليهود ومن بعض الانجيليين المتصهينين الخارجين عن الاطار العام للكنيسة الانجيلية، متخصصة في جمع الأموال اللازمة لتمويل بناء المعبد؛ وقد جمعت بالفعل اموال طائلة ينفق بعضها على المدارس الدينية (باشيفا)، وينفق بعضها الآخر على تمويل مشاريع الاستيطان في القدس بما

فيها مشروع الاستيطان على جبل ابو غنيم، وينفق بعضها الثالث على تمويل حركة غوش ايمونيم (أي جبهة العقيدة) وهي واحدة من الحركات الدينية الأصولية المسلحة التي تقود حركة الاستيطان في الضفة الغربية.

لعبت الأصولية اليهودية في الدياسبورا – أي في بلاد الشتات - دوراً أساسياً في تحقيق التضامن اليهودي وفي المحافظة على الشخصية الدينية لليهود في العالم. وكان اعتقاد قادة الحركة الصهيونية ان هذه الأصولية سوف تذوب في المجتمع الصهيوني العلماني عندما تقوم الدولة. أثبتت الوقائع ان هذه الحسابات كانت خاطئة تماماً. فما حدث كان على العكس. إن شركة الطيران الإسرائيلية (ال - عال) لا تعمل يوم السبت استجابة لمطالب الحركات الأصولية اليهودية. والمصاعد في البنايات في المدن الإسرائيلية تُبرمج يوم السبت بحيث تتوقف صعوداً ونزولاً عند كل طابق من دون ان يحتاج اليهودي إلى الضغط على زر المصعد احتراماً ليوم السبت.

فاليهود في إسرائيل لا ينقسمون بين السفارديم والاشكناز فقط. ولكنهم ينقسمون بين اصوليين واصلاحيين أيضاً. وتحصر كل صلاحيات المحاكم الدينية التوراتية بإجراء مراسم الزواج والطلاق والوفاة وسائر الأحوال الشخصية الأخرى بيد الحاخامين الأصوليين المتجمعين أساساً في القدس بقسميها الغربي والشرقي. اثار هذا الاحتكار نقمة الحاخامين الاصلاحيين داخل إسرائيل وخارجها ولكن دون جدوى. ففي مدينة القدس العربية المحتلة توجد العشرات من المدارس الدينية (باشيفا) التي تخرّج رجال دين اصوليين متطرفين يتميزون بتجديل الشعر (هاسيديم) واعتمار القبعة السوداء. وفي عيد يوم الغفران "كابور" يقوم رب العائلة اليهودية بشراء دجاجة من السوق ويحملها إلى بيته. وهناك يدعو أفراد عائلته جميعاً زوجته وأولاده إلى الجلوس على الأرض، ويمرر الدجاجة فوق رأس كل واحد منهم. ويعتقد اليهود انه بهذه العملية تنتقل خطايا أفراد العائلة وآثامهم إلى الدجاجة. فتذبح وينتف ريشها ثم تؤكل شكراً لله على غفرانه.

العلمانيون وحتى الاصلاحيون من اليهود لا يمارسون هذه الشعائر ويطالبون بتجاوزها. وقد ارتفعت الصيحات من اوروبة ومن الولايات المتحدة مطالبة بالمساواة في حق ممارسة الشعائر الدينية اليهودية بين الحاخامين الأصوليين والاصلاحيين. ولكن رأي الأصوليين هو الراجح. وهم الذين يحتكرون حق تحديد من هو اليهودي ومن هو غير اليهودي. ومن تُغفر خطاياه وكيف، ومن لا تُغفر خطاياه ولماذا.

وفي إسرائيل اليوم مرجعيتان دينيتان لليهود. حاخام أكبر للاشكناز، وحاخام أكبر للسفارديم ويقيم الاثنان في مدينة القدس. والتطرف الأصولي موجود عند السفارديم (أي عند اليهود الشرقيين) أكثر منه عند الاشكناز (اليهود

الغربيين). ولا يقتصر التطرف هنا على النواحي الدينية فقط بل يتعداه إلى الموقف السياسي. فالليكود بقيادته من الاشكناز يعتمد على قاعدة واسعة من السفارديم. ويعكس تطرف السفارديم آثاره على المواقف السياسية لليكود منذ وصوله إلى السلطة في عام 1977 بقيادة مناحيم بيغن.. ويعود التطرف لدى السفارديم إلى عقدة النقص التي يعانون منها تجاه الاشكناز الأكثر ثقافة وثروة ونفوذاً. ويتمتع الاشكناز بعلاقات وطيدة مع الدول الغربية التي هاجروا منها وخاصة مع الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، وكذلك مع روسيا التي هاجر منها مئات الآلاف من اليهود - ومن المتهودين - بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. هذا الواقع الداخلي يشكل قنبلة عنصرية موقوتة. ولكن الإسرائيليين يعتمدون في تعطيلها على ثقافة العداء للعرب وللمسلمين. ولكن إلى متى؟

في كتاب صدر مؤخراً في بريطانيا للكاتب المعروف جوفري وايتكروفت وعنوانه "جدلية الصهيونية" "The Controversy of Zion"، يقول الكاتب ان قيام الدولة اليهودية زاد المسألة اليهودية في العالم تعقيداً بدلاً من ان يجد حلاً لها. وان اليهود الذين لم يهاجروا إلى إسرائيل فانهم يؤيدونها ويساعدونها مادياً ومعنوياً لأنها توفر لهم فرصة النوم على مخدة الأمان أكثر من أي وقت مضى في تاريخ اضطهادهم الطويل في المجتمعات الغربية كافة من روسيا حتى بريطانيا. قد لا يهاجرون ابداً إليها ولكنهم مرتاحون لوجودها. فهي بالنسبة اليهم ليست رمزاً فقط ولكنها الملجأ والملاذ عند الضرورة. اما الثمن الذي يدفعه الفلسطينيون خاصة اصحاب الأرض الشرعيون، والثمن الذي يدفعه العرب، مسلمين ومسيحيين، من جراء أطماع إسرائيل التوسعية، والثمن الذي يدفعونه من جراء انتهاك مقدساتهم الدينية في القدس، ان ذلك كله لا يعني يهود إسرائيل، ولا يثير اهتمام اليهود خارج إسرائيل.

إن حلم الإسرائيليين هو أن يفتحوا عيونهم يوماً ليجدوا انه لم يبق أي عربي في أرض الميعاد. وهم يعتقدون ان هذا الحلم يمكن أن يتحقق على مراحل، وقد بدأ تحقيقه على مراحل:

كانت المرحلة الأولى في عام 1948. وكانت المرحلة الثانية في عام 1967. اما المرحلة الثالثة فستكون في القدس.

إن دافيد بن غوريون رئيس أول حكومة إسرائيلية في عام 1948 هو الذي قال: "لا كرامة لليهود من دون إسرائيل، ولا إسرائيل من دون القدس، ولا قدس من دون الهيكل".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

المجتمع اليهودي في القدس

يشكل المتطرفون اليهود القوة الجماهيرية التي تقف وراء حزب شاس أحد أقوى الأحزاب الدينية المتشددة في إسرائيل. ولقد حملوا معهم بعض الاعتقادات الدينية التي يرفضها اليهود الاشكناز - الأوروبيون -. من هذه الاعتقادات على سبيل المثال الايمان بأن كبير حاخاماتهم اسحق قدوري والذي يبلغ من العمر 96 عاماً والمولود في بغداد، يستطيع شفاء المرضى والمشلولين باللمس. وان صغير حاخاماتهم رابي يعقوب ايفرغان والذي يبلغ من العمر 34 عاماً والمولود في المغرب، يقوم بأعمال اعجازية إلى جانب شفاء المرضى وذلك بتطهير النفس من الآثام والخطايا.

يوجد في جبال الاطلس في المغرب قبر لحاخام يدعى دافيد - يو موشى، يعتبره اليهود مباركاً. وقد أقيم له قبر ثان في مدينة صفد يؤمّه اليهود من مختلف انحاء إسرائيل للتبرّك والاستشفاء. ولقد استطاع يهود من اصل عربي نقل رفات شخصيات يهودية أخرى من هذا النوع من الدول العربية التي دفنوا فيها منذ أجيال (خاصة في دول المغرب العربي) واقاموا اضرحة خاصة لها في إسرائيل. واصبحت هذه الأضرحة تستقطب الآلاف الذين يحجّون إليها على مدار السنة.

ومن القضايا التي تثير انقساماً حاداً بين اليهود المتطرفين والعلمانيين، قضية السنة السابعة. فكما ان اليوم السابع (يوم السبت) هو يوم راحة للمؤمن يحظر عليه خلاله القيام بأي عمل، هناك كذلك السنة السابعة، التي يحظر طوالها استثمار الأرض في الزراعة. أي انه بعد مرور ست سنوات، يحظر في السنة السابعة القيام بأي عمل في الأرض، وذلك استناداً إلى قول في التوراة: "لا تغرس حقلك ولا تحصد كرمك".

والسؤال هو: ماذا يفعل اليهود للحصول على حاجاتهم من الخضار والفاكهة طوال هذا العام الذي يبدأ في الثلاثين من أيلول - سبتمبر؟

بعض الحاخامين يفتون ببيع مشروط للأرض لغير اليهود (أي لعرب إسرائيل) لاستثمارها غرساً ورعاية وحصاداً وذلك لمدة سنة واحدة، تعود بعدها إلى اليهود. الا ان حاخامين آخرين يعارضون هذه الفتوى ويكفّرون اصحابها، وذلك على أساس ان الأرض اليهودية هي أرض مقدسة لا يجوز التخلّي عنها لغير اليهود. وعلى هذا الأساس أصدر الحاخام يوسف الياشيع فتوى بتكفير الحاخام السيفاردي الياهو باكشي - دورن الذي وافق على البيع المشروط.

والبعض الآخر من الحاخامين يفتي بشراء المواد الزراعية في العام السابع من الفلسطينيين واستيرادها من الاردن (بعد التوقيع على معاهدة السلام).

وقد حدث ذلك بالفعل، وأقبل اليهود المتطرفون على شراء حاجاتهم من الخضار والفاكهة العربية متخلّين عن الانتاج اليهودي، الأمر الذي أثار غضب اصحاب المزارع (في الكيبوتس) من اليهود العلمانيين كما أثار اضطراباً في الأسواق المحلية.

ويشجع حزب شاس هذه الثقافة الايمانية ومن خلالها يستقطب ولاء اليهود الشرقيين - السيفارديم - الذين يستخدمهم في حربه ضد مشروع علمنة الدولة اليهودية الذي يؤيده الاشكناز.

من هنا فإن إسرائيل تواجه انقساماً داخلياً حاداً بين "المزراحيين" الذين يؤمنون بمعجزات "الصدّيقين"، وبين العلمانيين الذين يعتبرون هذا النوع من الايمان سخافة وفكراً هابطاً.

وعندما رفض ايهود باراك رئيس الحكومة السابق ان يضمّ أحد اعضاء حزب شاس إلى الوفد الإسرائيلي المفاوض في كامب ديفيد في عام 2000، انسحب الحزب من الحكومة احتجاجاً. فردّ باراك بطرح مشروع للعلمنة يسحب بموجبه ورقة مؤسسة الزواج من يد الحاخامين، ويجرّدهم من الامتيازات المالية (مساعدات للمدارس الدينية) والاجتماعية (الاعفاء من الخدمة العسكرية)، التي يتمتعون بها. ذلك انه بفضل هذه المساعدات فإن اليهود المتطرّفين يتزوجون في سن مبكرة، ويكثرون من الانجاب، مما ادى إلى تضخم عددهم على حساب عدد اليهود العلمانيين ذوي العائلات الصغيرة.

ادى هذا الأمر إلى قيام حركة "إسرائيل الجديدة" وهي حركة تقودها الدكتورة ميخال اورن من جامعة حيفا وتدعو إلى الهجرة من إسرائيل إلى أي مكان آخر في أوروبة لإقامة مجتمع يهودي جديد يقوم على أساس القيم والمعايير الغربية. وتستقطب هذه الحركة مجموعة من المثقفين والأكاديميين اليهود الذين ضاقوا ذرعاً بتحوّل المجتمع الإسرائيلي من الصهيونية العلمانية إلى الصهيونية اليهودية.

على ان هذا الانقسام ليس محصوراً داخل إسرائيل وحدها. ففي الولايات المتحدة هناك صراع حول تحديد الهوية اليهودية. هل هي هوية دينية أم ثقافية؟ فالهوية الأميركية لليهود تهدد الشخصية اليهودية. والهوية الدينية تهدد الانتماء إلى مجتمع أميركي عصري.

ويتساءل ستيفن وايفيلد في كتابه "البحث عن ثقافة يهودية" ماذا أسهم اليهود في الثقافات الأخرى؟ وهل ان الدين هو العامل الوحيد الذي يحفظ اليهود كشعب؟ ولماذا يعتبر اليهود مهمين للثقافة الأميركية؟ وما هي اليهودية التي قدموها لهذه الثقافة؟

الاجابات على هذه الاسئلة تبدو واضحة من خلال اختيار السيناتور جوزف ليبرمان ليخوض مع آل غور الانتخابات الرئاسية على مقعد نائب الرئيس. فليبرمان هو من اليهود المتطرفين - الارثوذكس - فاذا فاز في المعركة الانتخابية فإن فوزه سوف يتكامل مع صعود اليمين الديني داخل إسرائيل حيث يشكل الدين، وليس أي عامل آخر، مقومات الهوية والشخصية اليهودية.

ويتمحور الصراع في الولايات المتحدة بين اليهود الارثوذكس واليهود العلمانيين حول أمور ثلاثة هي:

- الموقف من المرأة

- والموقف من إسرائيل

- والموقف من تغيير الدين.

فبقدر ما تتمتع المرأة في المجتمع العلماني الليبرالي وخاصة في الولايات المتحدة من حقوق موازية لحقوق الرجل، فإنها في الديانة اليهودية كائن دوني مسلوب من الحدّ الأدنى من حقوقه الانسانية. ولذلك فإن تكريم المرأة، أو حتى معاملتها باحترام كالرجل يعتبره اليهود الارثوذكس خروجاً عن الدين.

وبالنسبة لإسرائيل فإن اليهود الارثوذكس يرفضون أي نقاش في سياسة إسرائيل ويعتبرون تأييدها في كل قرار تتخذه واجباً دينياً بصرف النظر عن الصواب والخطأ. بينما يرى الليبراليون العلمانيون ان هناك خطاً فاصلاً بين تأييد إسرائيل كملجأ وملاذ لليهود، وبين الموقف من سياسات الحكومات الإسرائيلية. وهم يرون ان من مستلزمات تأييد إسرائيل انتقاد سياسة حكومتها حيث يجب الانتقاد رغبة في تصحيح المسيرة بما يخدم المصالح الإسرائيلية والمصالح اليهودية في العالم.

اما تغيير الدين فقد بدأ يأخذ ابعاده الواسعة من خلال الزواج المختلط بين اليهود وغير اليهود من الأميركيين. ويعارض اليهود الارثوذكس الزواج المختلط من حيث المبدأ، سواء كان بين يهودية ورجل من دين آخر، أوبين يهودي وامرأة من دين آخر. ويعتبرون هذا الزواج غير شرعي ويصنفونه زنى من المحرمات.

غير ان الزواج المختلط ينتشر بين الليبراليين اليهود من رجال ونساء مع اصرارهم على التمسك بيهوديتهم.

من هنا كان التناقض في تعريف "اليهودية" في الولايات المتحدة. فريق يقول انها تقوم على عوامل اللغة (اليدشية) والثقافة والمؤسسات المشتركة. وفريق يحصرها بعنصر واحد فقط هو الدين.

وفي هذا الشأن يقول أحد علماء الاجتماع الأميركيين انه "اذا كنت تعيش في نيويورك فأنت يهودي. وإذا كنت تعيش في مونتانا فأنت من الغوييم حتى ولو كنت يهودياً".

يبقى أن القانون الديني – هالاشا - هو الذي يحدد عقائدياً من هو اليهودي. ذلك ان هذا القانون الذي يتشدد اليهود الارثوذكس في دعوتهم إلى الالتزام به بتفاصيل حياتهم اليومية عائلياً واجتماعياً، يفرض التزامات سلوكية لا يحترمها اليهود الليبراليون. منها مثلاً تحريم قيادة السيارة يوم السبت أو حتى استخدام المصعد الكهربائي.

إن سيطرة اليهودية الارثوذكسية على المجتمع الإسرائيلي تشكل عنوان المرحلة الانتقالية التي تمرّ بها إسرائيل في الوقت الحاضر من الصهيونية إلى اليهودية. ومع هذا التحول يأخذ الصراع العربي مع إسرائيل طابع الصراع الديني أكثر من أي وقت مضى. وبذلك يخرج هذا الصراع عن اطاره القومي إلى الإطار الإسلامي - اليهودي الأوسع والأكثر التهاباً وخطراً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القدس ومنظمة السفارة المسيحية الدولية

عندما عُقد المؤتمر الصهيوني الأول في شهر آب - أغسطس من عام 1897، كانت الغاية منه توفير مكان آمن لليهود الذين يتعرّضون للاضطهاد في روسيا وفي أوروبة. الاضطهاد الروسي لليهود ادى إلى هجرة اعداد كبيرة منهم إلى الولايات المتحدة، ومع الوقت تنامت قوة النفوذ الصهيوني فيها. اما الاضطهاد الفرنسي - قضية دريفوس - فكان السبب المباشر الذي حمل الصحفي اليهودي ثيودور هرتزل على الدعوة إلى المؤتمر الصهيوني الذي كان الخطوة العملية اليهودية الأولى نحو إقامة وطن يهودي وفق البرنامج الذي وضعه للمؤتمر ماكس نودو.

تمثلت الاستجابة الأولى لمطالب المؤتمر في عرض قدمته الحكومة البريطانية للحركة الصهيونية في عام 1903 يقضي بمنحها منطقة واسعة في يوغندا تبلغ مساحتها ستة آلاف ميل مربع لإقامة الوطن اليهودي عليها. رحّب أحد اقطاب الحركة الصهيونية في ذلك الوقت ويدعى إسرائيل زانغويل بالعرض مع مجموعة من اعضاء الحركة. الا ان الأكثرية رفضته فانشقّ زانغويل ورفاقه عنها، وأنشأوا منظمة صهيونية جديدة باسم "منظمة الأرض اليهودية" هدفها توطين اليهود المضطهدين في أوروبة وروسيا. غير ان المؤتمر الصهيوني السابع الذي عقد في عام 1905 رفض هذا المشروع وقاطع زانغويل وزملاءه وأدان حركتهم مصرّاً على مخطط إقامة الدولة في فلسطين لأن القدس تشكل قوة جذب معنوية وحافزاً دينياً لتجاوب يهود العالم مع المشروع.

بلغ النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة حداً شجع بريطانيا على استغلاله. وعندما اصدر وزير الخارجية البريطاني أرثر جيمس بلفور في الثاني من نوفمبر 1917 وعده الشهير في رسالة وجهها إلى المليونير اليهودي اللورد روتشيلد بإقامة وطن يهودي في فلسطين، كان يتطلع إلى استرضاء واستغلال يهود الولايات المتحدة بهدف توظيف نفوذهم هناك لحمل الادارة الأميركية على تأييد بريطانيا في الحرب العالمية الأولى. كما ان الحكومة البريطانية كانت تأمل في ان تؤدي إقامة وطن يهودي في فلسطين بمبادرة منها وبمساعدتها، إلى أن يصبح هذا الوطن اليهودي نقطة حماية متقدمة للدفاع عن قناة السويس وعن الطريق إلى الهند التي كانت تعتبر درة التاج البريطاني في ذلك الوقت. اذا كان وعد بلفور بإقامة وطن يهودي على جزء من أرض فلسطين استهدف كسب ودّ وتأييد يهود الولايات المتحدة، فإن المؤتمر الصهيوني الذي عقد في نيويورك في عام 1942 طالب بأن يقوم الوطن اليهودي على كل الأرض الفلسطينية. وهذا ما تمّ تحقيقه بالفعل.

بعد 88 عاماً على المؤتمر الصهيوني الأول - أي في عام 1985 - عقد في نفس المدينة السويسرية بال، وفي الفندق نفسه، وفي القاعة ذاتها من الفندق، وفي شهر آب - أغسطس ايضاً، مؤتمر صهيوني من نوع آخر ضمّ الكنائس الانجيلية التي تعتبر قيام "صهيون" امراً لا بدّ منه تمهيداً للعودة الثانية للمسيح.

وجه الدعوة إلى "المؤتمر الصهيوني المسيحي" الدكتور دوغلاس يونغ مدير المعهد الأميركي لدراسات الأرض المقدسة. وترأسه الدكتور فإن ديرهوفين رئيس الكنيسة الانجيلية الهولندية. وحضر المؤتمر التأسيسي 589 شخصية دينية من الولايات المتحدة وأوروبة، ومن كنائس مماثلة في دول افريقية وآسيوية أخرى بلغ عددها 27 دولة.

ومنذ ذلك الوقت يُعقد مؤتمران في شهر آب - أغسطس من كل عام، الأول للحركة الصهيونية - اليهودية استكمالاً لمسيرة المؤتمر الأول الذي نظمه ثيودور هرتزل في عام 1897، والثاني للحركة الصهيونية المسيحية الذي أعدّه دوغلاس يونغ في عام 1985.

حدّد البيان الأول الذي صدر عن المنظمة هدفها الأساس، وقد جاء فيه: "ان الله وحده هو الذي أنشأ هذه السفارة الدولية في هذه الساعات الحرجة من أجل تحقيق راحة صهيون واستجابة حب جديد لإسرائيل".

وقد صدر عن منظمة السفارة المسيحية الدولية عدة صحف جديدة تروج لأفكارها ومبادئها، منها المجلة الشهرية (Ministries) والمجلة السنوية (The Review)، وتتولى مجلة ثالثة نشر دراسات التقارير التي تصدر عن المنظمة هي (Charisma) ذات الانتشار الواسع داخل الولايات المتحدة وخارجها.

أقامت المنظمة فروعاً لها حتى الآن في أكثر من اربعين دولة وأهم مراكزها (خارج الولايات المتحدة) في هولندة وجنوب افريقيا واستراليا ونيوزيلندة، اما في الولايات المتحدة فقد اقامت 22 مركزاً حتى الآن في 22 ولاية، اما مقرّها الرئيس فهو في مدينة مونترويت (Montreat) في ولاية كارولينا.

انبثقت عن مؤتمر 1985 منظمة جديدة تحمل اسم "السفارة المسيحية الدولية من أجل القدس". ومهمتها توظيف النفوذ المعنوي والمادي للكنيسة (بعض الكنائس الانجيلية الأميركية) من أجل تحقيق النبوءات التوراتية المتعلقة بظروف العودة الثانية للمسيح وأهمها إقامة دولة صهيونية وتجميع اليهود فيها وبناء الهيكل اليهودي في القدس حتى يعود المسيح للمرة الثانية وفقاً لما توصلوا إليه من خلال تفسيراتهم لهذه النبوءات.

وقد عملت السفارة المسيحية الدولية على تحقيق معظم الأهداف التي اعلنتها في عام 1985، ومن أبرزها نقل يهود الاتحاد السوفياتي السابق إلى إسرائيل، وانهاء المقاطعة ضد المصالح الإسرائيلية، وحمل دولة الفاتيكان واسبانيا الكاثوليكيتين على الاعتراف بإسرائيل وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها، والضغط على دول اوروبة الشرقية والوسطى لتطبيع علاقاتها مع إسرائيل، ودعوة العالم إلى الاعتراف بالقدس عاصمة أبدية موحدة لإسرائيل. وقد لعبت هذه المنظمة الدور الأبرز في استصدار القرار الأول عن مجلس الكونغرس الأميركي (الشيوخ والنواب) في أبريل 1990، الذي نصّ على دعوة الادارة الأميركية إلى الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ثم باستصدار القرار الثاني في عام 1995 بنقل مقرّ السفارة الأميركية من تل أبيب إلى القدس.

صحيح ان الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة الارثوذكسية، وكذلك العديد من الكنائس الانجيلية الأميركية تعارض عمليات التهويد العقدي والسياسي وتعتبرها تشويها للمسيحية الحقيقية وتضليلاً للمسيحيين المؤمنين، الا ان الصحيح في الوقت نفسه ان الدور السياسي الذي تقوم به منظمة السفارة المسيحية الدولية من أجل القدس تحت العباءة المسيحية، يكاد يصبح الدور الأهم في التأثير على صياغة القرار الأميركي من قضايا الشرق الأوسط والصراع العربي - الإسرائيلي.

تبنّت هذه المنظمة اسم "السفارة المسيحية الدولية" توصيفاً للمهمة التي تقوم بها. وهي ان تكون بمثابة سفارة في مختلف دول العالم للدفاع عن إسرائيل ومصالحها. ولذلك اقامت فروعاً لها في معظم الولايات الأميركية وأطلقت على رئيس الفرع لقب قنصل. ومهمة الفرع جمع التبرّعات لبناء المستوطنات اليهودية وشراء الأراضي من اصحابها العرب، وبيع سندات الدعم لإسرائيل، والاتصال المباشر مع ممثلي الولايات من مستوى البلدية المحلية حتى الكونغرس لحثّهم على الدفاع عن مصالح إسرائيل.

وللسفارة المسيحية الدولية فروع في عدد كبير من دول العالم تقوم بالمهمة نفسها. ويشكل المؤتمر السنوي الذي تعقده في شهر آب - أغسطس من كل عام مناسبة لتقييم المنجزات التي حققتها، ولوضع برنامج عمل للعام الجديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

القدس: قضية إسلامية - مسيحية

للوحدة وللنضال الواحد بين المسلمين والمسيحيين العرب مقومات عدة. منها وحدة الامة. ووحدة القومية ووحدة المصير. ووحدة الآمال والأهداف. وترمز القدس العربية إلى هذه المقومات جميعها من حيث انها المدينة المقدسة عند المسلمين وعند المسيحيين على حد سواء.

في الأساس تقوم العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في الشريعة الإسلامية على قاعدة قول الله تعالى في الآية 84 من سورة آل عمران: قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون.

وفي الأساس أيضاً تضع الآية 46 من سورة العنكبوت الاطار العقيدي لهذه العلاقة بقوله عزّ وجلّ من قائل: ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل الينا وأُنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون.

واذا كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة بما تزخران به من صروح دينية ترمز إلى الوحدة الإسلامية، فإن في القدس من الصروح الدينية الإسلامية والمسيحية ما يجعل من هذه المدينة رمزاً للوحدة الإسلامية - المسيحية.

من هنا فإن الحرص على هذه الوحدة يتطلب اولاً وفي الدرجة الأولى انقاذ رمزها مدينة القدس الشريف، وتخليصها من بين براثن التهويد التي تستهدف ليس فقط معالمها الإسلامية والمسيحية، بل تستهدف في الدرجة الأولى القضاء على ما ترمز إليه من وحدة إسلامية - مسيحية.

إن موقع القدس في العقيدة المسيحية وفي الوجدان المسيحي وفي التاريخ المسيحي يشكل أحد اهم الثوابت التي تقوم المسيحية عليها. القدس الشريف في الإسلام منتهى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومبتدأ عروجه إلى السماء. وهي ثالثة المدن المقدسة بنصّ القرآن الكريم الذي يقول في الآية الأولى من سورة الاسراء: سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع العليم، وواضح من نص هذه الآية الكريمة ان بركة الله، من حيث انها تطهير وتقديس، لا تقتصر على المسجد وحده، بل تشمل ما حوله، أي كل فلسطين.

والقدس في الإسلام أيضاً هي القبلة الأولى، ذلك ان فيها ثالث الحرمين الشريفين الذي تشد الرحال إليه - أي يُقصد للصلاة ولعبادة الله - بعد

المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد الحرام في المدينة المنورة.

وبالنظر لما للقدس من مكانة عند المسلمين، فإن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اعتبر الإقامة فيها جهاداً في سبيل الله، دفاعاً عن مقدساتها وعن ما ترمز إليه هذه المقدسات. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا ما اصابهم من اللاواء حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك، قالوا: يا رسول الله واين هم؟ قال: ببيت المقدس واكناف بيت المقدس".

إن وجود 199 صرحاً دينياً إسلامياً و950 صرحاً دينياً مسيحياً في القدس يجسد اهمية هذه المدينة المقدسة بالنسبة للمسلمين وللمسيحيين معاً. وتكريساً لدور القدس رمزاً للوحدة بينهم، كانت العهدة العمرية في 15 هـ. 637 م. ذلك ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ما ان تسلم مفاتيح المدينة شخصياً من البطريرك صفرونيوس حتى بادر إلى وضع عهدته التي تعبر حتى اليوم عن مدى احترام الإسلام للمسيحية، وعن مدى حرص المسلمين على التعاون مع المسيحيين في مواجهة العدو المشترك للإسلام وللمسيحية معاً.

إن المسيحيين والمسلمين يمرّون في مرحلة تاريخية خطيرة تجعل من هذا التعاون فرضاً واجباً عليهم جميعاً. ذلك ان ما تتعرض له القدس من تهويد ومن تدنيس لصروحها الدينية، ومن تغيير لمعالمها ولهوية سكانها العرب المسلمين والمسيحيين، يشكل حافزاً لهم للعمل معاً انقاذاً لمقدساتهم ولتراثهم الديني والقومي المشترك.

إن المخطط الصهيوني لتدمير المسجد الأقصى وبناء هيكل يهودي على انقاضه لم تعد سراً من اسرار الحركة الصهيونية. فمنذ عام 1967 وهو العام الذي سيطر فيه الإسرائيليون عسكرياً على القدس، قام المسلحون اليهود وكان معظمهم من الحاخامين المسلحين والجنود وطلاب المدارس الدينية اليهودية بأكثر من مائة اعتداء على المسجد الأقصى.

ويقول الحاخام شلومو شايم هاكوهين رفنير: "علينا ان لا ننسى ان الهدف الاسمى من وراء تجميع المشتتين وإقامة دولتنا هو بناء الهيكل. إن الهيكل هو رأس الهرم".

كذلك تعرضت صروح دينية مسيحية مقدسة للاعتداء وللتدنيس بما فيها كنيسة القيامة. وحسبي ان أشير إلى أن عدد المسيحيين في هذه المدينة المقدسة لم يعد يتجاوز بضعة آلاف فقط نتيجة سياسة القهر والإبعاد القسري التي تتّبعها سلطات الاحتلال الإسرائيلية؛ وتشكل هذه السياسة الوجه الآخر

لسياسة زرع الفتنة بين المسلمين والمسيحيين وتمزيق وحدتهم واضعاف قوتهم وتشتيت شملهم.

إن العيش الوطني الواحد بين المسلمين والمسيحيين يتعرض لهذه الطعنات الإسرائيلية السامة والمتواصلة في كل منطقة من العالم العربي يتعايش فيها مسلمون ومسيحيون وبصورة خاصة في فلسطين وفي القدس بالذات. ذلك ان هذا العيش المشترك بما يرمز إليه من معانٍ دينية سامية، وبما يمثله من معانٍ حضارية انسانية، يتناقض مع المشروع الصهيوني العنصري بما يقوم عليه من إلغائية لكل من هو ليس يهودياً ايماناً وفكراً وعقيدةً وعنصراً. ولذلك فإن المسلمين والمسيحيين مستهدفون معاً في وجودهم وفي مصيرهم وفي ايمانهم وفي عقائدهم، الأمر الذي يشكل حافزاً لهم لمزيد من التضامن في مواجهة هذه الآفة الهدامة، آفة الصهيونية العالمية التي ابتلي بها الانسان في الوطن العربي وفي العالم كله.

من هنا ضرورة العمل الإسلامي - المسيحي المشترك من أجل انقاذ القدس الشريف والمحافظة على هويتها الدينية الإسلامية - المسيحية وعلى هويتها القومية. وهي مهمة يجب ان يتصدى لها معاً المسلمون والمسيحيون في برنامج عمل موحّد.

من أجل ذلك، من المهم تشكيل هيئة إسلامية - مسيحية مشتركة تضع مخطط برنامج العمل بحيث يستهدف:

1. استنفار الوحدة الإسلامية - المسيحية في وجه العدو الصهيوني المشترك.

2. استقطاب تأييد مسلمي العالم ومسيحييه للحق العربي في القدس الشريف.

3. شرح الابعاد الدينية لمدينة القدس لدى المسلمين والمسيحيين في المحافل والمنظمات والهيئات الدولية المختلفة، وذلك من خلال تنظيم سلسلة من المؤتمرات والندوات واللقاءات المتخصصة.

4. اصدار منشورات دورية إسلامية - مسيحية تكرس وحدة العمل المشترك من أجل تحرير المقدسات الدينية من الاحتلال الصهيوني.

إن القدس المحررة كانت على مدى التاريخ رمزاً من رموز الوحدة بين المسلمين والمسيحيين. وهي اليوم تحت نير الاحتلال الصهيوني تشكل رمزاً من رموز النضال المشترك بين المسلمين والمسيحيين. وستعود بعد تحريرها ان شاء الله مظلة ايمان بالله الواحد رب الخلق أجمعين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

القدس بين إسرائيل والفاتيكان

سوف أحاول من خلال هذا الموضوع ان أروي بالوثائق وقائع مسيرة موقف الفاتيكان من القدس وصداماته الدينية والسياسية بإسرائيل من جهة، وانعكاسات التحولات في الصراع العربي - الإسرائيلي على هذا الموقف من جهة ثانية. وسوف يتبيّن ان سلم المتغيرات في الموقف الفاتيكاني يتلازم سلباً وايجاباً، استضعافاً واستقواءً، مع سلم المتغيرات في الموقف العربي، كما يتلازم وبالقدر نفسه، مع سلم المتغيرات في مواقف الدول الكبرى من إسرائيل وبصورة خاصة أوروبة والولايات المتحدة.

لهذه المسيرة محطات أربع هي:

1. محطة ما بعد انطلاق الحركة الصهيونية، آب - أغسطس 1897.

2. محطة ما بعد إقامة إسرائيل والاعتراف بها في الأمم المتحدة، أيار - مايو 1948.

3. محطة ما بعد احتلال إسرائيل للقدس، حزيران - يونيو 1967.

4. محطة ما بعد اتفاقيات التسوية العربية مع إسرائيل:

- مصر، كامب ديفيد 1979

- السلطة الفلسطينية، اوسلو 1993

- الأردن، وادي عربة 1994

في المحطة الأولى تستوقفنا أربع اشارات أساسية:

أ. في 24 كانون الثاني - يناير 1904، وجه البابا بيوس العاشر رسالة إلى تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية ردا على رسالة كان هرتزل قد وجهها إلى البابا طالبا فيها دعم الفاتيكان تهجير اليهود إلى فلسطين.

قال البابا في رسالته الجوابية:

"نحن لا نستطيع ابدا ان نتعاطف مع الحركة الصهيونية. اننا لا نقدر على منع اليهود من التوجه إلى القدس، ولكننا لا يمكن ابدا ان نقرّه، وبصفتي قيّما على الكنيسة لا استطيع ان اجيبك بشكل آخر. لم يعترف اليهود بسيدنا (المسيح)، ولذلك لا نستطيع ان نعترف بالشعب اليهودي، وبالتالي، فاذا جئتم إلى فلسطين، واذا اقمتم هناك، فإننا سنكون مستعدين كنائس ورهبانا ان نعمّدكم (أي نحولكم إلى المسيحية) جميعاً".

ب. وجاء في وثيقة فاتيكانية صادرة في الأول من أيار - مايو 1897، ونشرتها CIVILTA' CATTOLICA (عشية المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل في سويسرا): "مر 1827 سنة على تحقيق نبوءة المسيح بأن القدس سوف تدمر 00 ولذلك فإن إعادة بناء القدس لتصبح مركزا لدولة إسرائيل بعد تكوينها يتناقض كل التناقض مع نبوءات المسيح الذي أخبرنا مسبقا بأن العامة (أي غير اليهود) سوف تسيطر على القدس حتى نهاية زمن العامة (جنتيل)، أي حتى نهاية الزمن".

ج. لعل القديس بولس هو أول من أعلن المبدأ بأن استمرار اليهود لا يعود إلى قوة ايمانهم أو إلى ثقافتهم أو إلى وحدتهم العنصرية، ولكن استمرارهم يعكس ارادة إلهية بأن يبقوا في حالة مزرية.

كذلك فإن القديس اوغسطين يقدم اليهود كجماعة محتقَرة ليكونوا اداة لتحقيق نبوءات دينية بمعاقبتهم لانهم رفضوا المسيح ولم يعترفوا به. (راجع اوغسطين: مدينة الله - ترجمة ماركوس دودس - نيويورك - راندوم - 1950 ص.ص. 656 - 658).

د. في عام 1449 أصدرت اسبانيا قانون "الدم النقي" Estatuto de Limpieza de sangre. وضع هذا القانون لمنع اليهود حتى من اعتناق المسيحية ومن ثم تبوّأ مناصب في الكنيسة، وربما كان هذا القانون أول قانون عنصري اوروبي. وقد تبنى مبدأ - الدم النقي - البابا ألكسندر السادس، وهو من اصل اسباني أيضاً وأعلن القانون البابوي Limpieza في عام 1495، والذي عملت به كل الدول والمجتمعات المسيحية في ذلك الوقت.

كرّس هذا الموقف المبدأي للفاتيكان ثوابت ايمانية لعل من أبرزها:

1. حكم الادانة الذي اصدره البابا غريغوري الثالث عشر في عام 1581 ضد اليهود.

2. الايمان بعدم جعل القدس عاصمة لدولة يهودية حتى قيام الساعة وفقا لما ورد في انجيل لوقا 21/24.

3. عدم الاعتراف بالشعب اليهودي طالما ان هذا الشعب لا يعترف بالمسيح. (رسالة البابا بيوس العاشر).

4. لا لسيادة اليهود على الأرض المقدسة في فلسطين. (رسالة البابا بندكيت الخامس عشر إلى ناحوم سوكولوف مبعوث الحركة الصهيونية).

المحطة الثانية، هي محطة التنافس الأميركي - السوفياتي على إقامة إسرائيل وعلى الاعتراف بها في عام 1948.

هنا نلاحظ انه في الثاني والعشرين من شهر حزيران - يونيو - 1943 وجّه وزير خارجية الفاتيكان الكاردينال لويجي ماغليون تعليمات رسمية إلى السفير البابوي في واشنطن أمليتو سيكونياني طلب فيها ابلاغ الحكومة الأميركية بأن "تسليم فلسطين إلى اليهود أو وضعها تحت سيطرتهم لا بدّ ان يطعن جميع كاثوليك العالم في كبريائهم الديني".

وعندما زار رئيس الحكومة البريطانية في ذلك الوقت ونستون تشرشل الفاتيكان، ردّد أمامه وزير خارجية الفاتيكان هذا الموقف بشكل واضح ومباشر.

كان الفاتيكان ولم يزل حريصاً على مصالح الكاثوليك العرب، ولقد لعب هذا الحرص دوراً أساسياً في بلورة هذا الموقف. ذلك ان الكنائس الكاثوليكية في العالم العربي شأنها شأن العرب الآخرين كانت معادية للحركة الصهيونية ولمشروعها في إقامة دولة لليهود في فلسطين. وقد عكس تجاوب الفاتيكان مع هذا الموقف ليس فقط الحرص على الحضور الكاثوليكي في العالم العربي، بل الحرص على عدم السماح بوضع المقدسات الدينية المسيحية في القدس تحت سيطرة اليهود.

استمر الفاتيكان متمسكاً بهذا الموقف حتى كانون الثاني - يناير 1944 عندما ادرك ان ثمة التزاماً أميركياً - بريطانياً مع اليهود لإقامة دولة يهودية في فلسطين. فطرح الفاتيكان مشروعاً "التفافياً" يدعو إلى أحد أمرين: اما تمديد الانتداب البريطاني، أو تدويل فلسطين كلها، وفي حسابات الفاتيكان ان الانتداب أو التدويل يعني عملياً "لا تهويد لفلسطين ولا تهويد للصروح الدينية المسيحية المقدسة"، ويعني بالتالي الإبقاء على المرجعية المسيحية ممثلة في الانتداب أو في التدويل.

ولكن بريطانيا أعلنت في نيسان - أبريل 1947 وخلافاً لما كان يأمله الفاتيكان، قرارها بإنهاء انتدابها وبإحالة القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة. هنا وجد الفاتيكان نفسه في ضوء هذا القرار وجهاً لوجه امام احتمالٍ من ثلاثة:

- إما أن تتحول فلسطين إلى دولة يهودية،

- وإما أن تقسم بين اليهود والعرب،

- وإما أن تصبح دولة واحدة بأكثرية عربية.

الاحتمال الأول كان مرفوضاً فاتيكانياً من حيث الشكل والأساس، كما جاء في رسالة وزير خارجية الفاتيكان إلى الادارة الأميركية. اما الاحتمال الثاني (أي التقسيم) فقد رفضه الفاتيكان بشدة أيضاً على لسان رئيس الأساقفة في

نيويورك سبلمان وذلك على أساس "أن أرض فلسطين كلها هي أرض مقدسة بالنسبة إلى المسيحية". واما الاحتمال الثالث، أي عروبة فلسطين، فقد دافعت عنه بقوة وبحرارة في الفاتيكان الكنائس الكاثوليكية العربية، كما دافعت عنه البعثات التبشيرية المسيحية العاملة في الشرق الأوسط. ونظراً لاهتمام الكرسي الرسولي بمستقبل المسيحية العربية ولحرصه على حضورها وعلى مصالحها، فقد تجاوب مع هذا الموقف. كان الفاتيكان يدرك ان اعلان هذا الموقف رسمياً يضعه في حالة صدام مباشر مع كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اللذين كانا يتنافسان على العمل من أجل الاعتراف بإسرائيل. وكان الفاتيكان يدرك أيضاً ان منظمة الأمم المتحدة لم تعد قادرة على اسقاط أو تفشيل التوافق الأميركي - السوفياتي على إقامة دولة يهودية في فلسطين.

من هنا تحوّل الفاتيكان من القضية الفلسطينية إلى قضية القدس، وكان يأمل في ان يتمكن من تدويل القدس بعد ان تعذر عليه تدويل فلسطين. ذلك ان مشروع التقسيم الذي وضعته اللجنة الخاصة (UNSCOP) في عام 1947 اعطى الانطباع بأن تدويل المدينة المقدسة هو في متناول اليد.

كان هذا الاعتقاد وراء سحب معارضة الفاتيكان لمشروع تقسيم فلسطين. الأمر الذي شجع الدول الكاثوليكية وخاصة دول أميركا اللاتينية والفلبين واسبانيا وفرنسا وبلجيكا على التصويت إلى جانب مشروع التقسيم.

وهكذا أقرّت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالأكثرية مشروع تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية في 29 كانون الأول - ديسمبر - 1947. كما أقرّت في الوقت نفسه وضع القدس تحت اشراف الأمم المتحدة وذلك على أساس انها تشكل "Corpus separatum" أي جسماً منفصلاً. حالت الحرب العربية - اليهودية الأولى التي وقعت في عام 1948 دون تنفيذ قرار التقسيم. كما ادت سيطرة الأردن على القدس الشرقية وسيطرة اليهود على القدس الغربية إلى نسف مخطط تقسيم المدينة كما ورد في قرار الأمم المتحدة الصادر في 29 تشرين الثاني - نوفمبر 1947. ازاء هذا الواقع الجديد اذاع البابا بيوس الثاني عشر في 24 تشرين أول - أكتوبر 1948 بيان "In multiplicibus Curis" الذي طالب فيه بتدويل القدس وجوارها من أجل ضمان سلامة الصروح المقدسة. كانت فرنسا مؤيدة لموقف الفاتيكان بامتياز، بل يمكن القول انها كانت تحرض الفاتيكان وتشجعه على اتخاذ هذا الموقف. ذلك ان فرنسا أيضاً وليس الفاتيكان وحده كانت تعطي نفسها دور راعي المصالح الكاثوليكية في الشرق والمؤتمن على حماية الكاثوليك العرب (طبعاً من دون ان يطلب الكاثوليك العرب ذلك). يؤكد هذا الدور الفرنسي المميز رسالة وجهها وزير خارجيتها في ذلك الوقت روبرت شومان إلى السفير الفرنسي المعتمد لدى

الفاتيكان قال فيها: "اريدكم ان تطلبوا من الحبر الأعظم ان يأخذ رسمياً موقفاً مؤيداً لتدويل القدس والمواقع المقدسة".

في عام 1948 أوفدت إسرائيل بعثتين إلى الفاتيكان لإقناع البابا بالعدول عن فكرة التدويل ولكن دون نتيجة. وفي العام نفسه اوفد الفاتيكان إلى إسرائيل مبعوثاً خاصاً هو المونيسنيور توماس ماكماهون مساعد رئيس اساقفة نيويورك سبلمان لشؤون القضية الفلسطينية في محاولة لإقناع إسرائيل بقبول فكرة التدويل ولكن دون نتيجة أيضاً.

ازاء ذلك اصدر البابا بياناً جديداً "Redemptoris Nostri" دعا فيه العالم الكاثوليكي للدفاع عن الصروح المقدسة وللعمل من أجل تدويل القدس.

حمل بيان البابا إلى الرئيس الأميركي روزفلت رئيس أساقفة نيويورك سبلمان طالباً منه رسمياً وضع القدس ومحيطها خارج سيطرة أي من العرب أو اليهود. ولكن الرئيس الأميركي لم يبد أي تجاوب مع الطلب البابوي.

أمام هذا الأمر طُرحت أمام الجمعية العامة ثلاثة اقتراحات أساسية:

يدعو الاقتراح الأول الذي وضعته لجنة التوثيق الفلسطينية التي كانت تضم ممثلين عن الولايات المتحدة وفرنسا وتركيا إلى أن يتولى كل من الأردن وإسرائيل ادارة قسم من مدينة القدس وفقاً لخطوط وقف القتال الذي تمّ في عام 1948. كما يدعو الاقتراح إلى أن يتولى مندوب عن الأمم المتحدة مسؤولية الحفاظ على الأماكن المقدسة ووضع مقترحات تفصيلية لإقامة نظام دولي دائم في منطقة القدس.

ويدعو الاقتراح الثاني الذي قدمته هولندة والسويد معاً إلى حصر مسؤوليات الأمم المتحدة في القدس بحماية الأماكن المقدسة فقط، وهو امر يستجيب إلى مطالب إسرائيل التي كانت تطالب في ذلك الوقت بتدويل القدس الشرقية وحدها والتي كانت بيد المملكة الاردنية.

أما الاقتراح الثالث فقد قدمته استراليا وهو يدعو إلى العودة إلى القرار رقم 181 الصادر في 29 تشرين الثاني - نوفمبر 1947 والذي ينصّ على تدويل منطقة القدس بكاملها. ولقد لقي هذا الاقتراح الاسترالي معارضة شديدة من إسرائيل ومن الولايات المتحدة وبريطانيا. ولقي بالمقابل تأييداً عربياً وفاتيكانياً تمثلَ في مواقف الدول الكاثوليكية المتأثرة بالتوجيه الفاتيكاني.

استنفر الفاتيكان سفراءه المعتمدين في سائر الدول الاعضاء في الجمعية العامة للأمم المتحدة. وقد قام هؤلاء السفراء بزيارات رسمية إلى رؤساء هذه الدول لحثّهم على التصويت إلى جانب الاقتراح الاسترالي. وقد استجاب هؤلاء الرؤساء ووجهوا تعليماتهم إلى مبعوثيهم في المنظمة الدولية لتأييد

الاقتراح. وهكذا استطاع مؤيدو الاقتراح الاسترالي جمع عدد كاف من الأصوات لإقراره بعد مناقشات ساخنة وشاقة وطويلة.

في التاسع من كانون الأول - ديسمبر - 1949 تمّ التأكيد على ارادة الجمعية العامة للأمم المتحدة في تدويل منطقة القدس. وحده الاردن من بين الدول العربية عارض الاقتراح لأنه كان حريصاً على عدم التخلي عن القدس الشرقية. كذلك صوتّت إسرائيل ضد الاقتراح لأنها كانت ضد تدويل المنطقة التي تحتلها من القدس. كان التقسيم هو البديل الأردني، والبديل الإسرائيلي للتدويل. غير ان عمليات الأمم المتحدة تعثّرت في تطبيق التدويل، فسرّع كل من الاردن وإسرائيل عملية احتواء القسم الذي يسيطر عليه من القدس، فقد أعلنت إسرائيل القدس المحتلة عاصمة لها، ونقلت إليها المباني الحكومية الرئيسية بما فيها مقرّ الكنيست (البرلمان) ورئاسة الحكومة. أما الأردن فقد وضع يده على القدس الشرقية مع ما يعرف اليوم بالضفة الغربية.

في عام 1950 قدمت لجنة التوثيق الدولية مشروعاً عرف باسم رئيسها "غاررو" يدعو إلى تدويل جزء من القدس (وليس كل القدس) بما في ذلك المواقع المسيحية، ولكن هذا المشروع واجه المصير ذاته الذي واجهه مشروع سويدي - بلجيكي عجز عن تأمين عدد كاف من الاصوات لإقراره. وهكذا انهت الجمعية العامة دورتها في كانون الأول - ديسمبر 1950 من غير ان تتبنى أي مشروع حول القدس.

وفي عام 1952 وبإيعاز من الفاتيكان طلبت الفلبين إعادة فتح ملف التدويل ولكن دون طائل. فقد واصلت إسرائيل نقل دوائرها الرسمية وخاصة وزارة الخارجية إلى القدس، ولم يغير من هذا التوجه حتى زيارة البابا بولس السادس إلى المدينة المقدسة في عام 1964. واستمر الوضع على هذا النحو حتى نشوب حرب حزيران - يونيو1967.

في المحطة الثالثة، محطة ما بعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس الشرقية في عام 1967، نتوقف أمام مساعي الفاتيكان لتدويل المدينة المقدسة.

ففيما كانت القوات الإسرائيلية تحتلّ المدينة المقدسة، اعلن المونسينيور فالينك الناطق الرسمي باسم الفاتيكان في التاسع من حزيران - يونيو - 1967 ان مقررات الأمم المتحدة الصادرة في تشرين الثاني - نوفمبر 1947 كانت ولم تزل متوافقة مع رغبات الكرسي الرسولي، وفي الوقت نفسه وزع ممثل الفاتيكان لدى الأمم المتحدة على الأعضاء وثيقة رسمية اكد فيها الفاتيكان قناعته "بأن الحل الوحيد الذي يوفر الضمانات الكافية لحماية القدس والمواقع المقدسة فيها هو الحل الذي يقضي بوضع القدس وجوارها

تحت نظام دولي". وأوضحت الوثيقة أيضاً ان مفهوم الفاتيكان لمعنى التدويل، هو أن تكون المنطقة المدوّلة منطقة منفصلة "Corpus separatum" وخاضعة لنظام دولي.

انطلاقاً من هذا الموقف اقترحت مجموعة من دول أميركا اللاتينية (الكاثوليكية) مشروعاً في الثلاثين من حزيران - يونيو - يدعو إلى تدويل القدس. ولكن الاقتراح سقط امام الجمعية العامة.

هنا شعر الفاتيكان انه امام حائط مسدود، فالعالم العربي كان يعاني من هزيمة الحرب وكان مبعثر الصفوف فيما تتصرّف إسرائيل بغطرسة المنتصر، الأمر الذي يعرّض المقدسات في القدس إلى الخطر. قاد هذا الشعور الفاتيكاني إلى الاتصال المباشر بإسرائيل التي اصبحت الآن تسيطر على المدينة المقدسة وجوارها بالكامل.

بدأت الاتصالات في روما بين السفير الإسرائيلي لدى ايطاليا يهود افريل وعدد من مسؤولي الفاتيكان بمن فيهم البابا بولس السادس نفسه. وقد مهّدت هذه الاتصالات لإرسال وفد إسرائيلي رسمي إلى الفاتيكان حمل رسالة رسمية من رئيس الحكومة ليفي اشكول إلى البابا بولس السادس، وأدت من ثم إلى ارسال وفد فاتيكاني إلى إسرائيل للاطلاع على الأوضاع في القدس من المرجعيات الدينية المحلية المعتمدة فيها. نتيجة لهذه الاتصالات نشر بيان مشترك في 11 حزيران - يونيو 1967 لعله الأول بين الفاتيكان وإسرائيل. وقعه عن الجانب الفاتيكاني المونسينيور انجيلو فليشي ووقعه عن الجانب الإسرائيلي يعقوب هرتزوغ. جاء في البيان انه "جرى التداول في عدة معادلات يمكن اعتمادها لتحقيق تسوية مقبولة للقضايا العامة المتعلقة بالأماكن المقدسة". كذلك نصّ البيان على "ان الجانبين قررا مواصلة اتصالاتهما حول هذا الموضوع".

لأخذ هذا التطور بعداً جديداً في 22 كانون الأول - ديسمبر - 1967 عندما القى البابا بولس السادس موعظة اكد فيها على أمرين أساسيين:

الأمر الأول توفير ضمانات لممارسة حرية العبادة والاحترام وسلامة الوصول إلى الأماكن المقدسة بالنسبة للأديان التوحيدية الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام، وذلك من خلال ضمانات خاصة توفرها هيئة ذات صفة دولية تأخذ بعين الاعتبار الشخصية التاريخية والدينية للمدينة.

أما الأمر الثاني فيتعلق بحق الاشخاص والجماعات الموجودة حالياً على أرض فلسطين في ممارسة حقوقها المدنية والدينية المشروعة.

أرست هذه الموعظة من خلال هذه الأمرين الأسس الجديدة للموقف الفاتيكاني المتطور عن صيغة التدويل التي كان يطالب بها. وهذه الاسس هي:

أ. المحافظة على الأماكن المقدسة وعلى الطابع التاريخي والديني لمدينة القدس.

ب. التمسك بالطبيعة الدولية للنظام الذي يفترض ان يطبق على مدينة القدس وعلى الأماكن المقدسة فيها.

ج. الضمانات الواجب توفرها لحماية الحقوق المدنية والدينية للجماعات المتعددة في فلسطين.

لم يقبل البابا تطبيق وضعية الفاتيكان بالنسبة لإيطاليا، على القدس بالنسبة لإسرائيل، أي وضعية ما يعرف بما وراء الحدود "Extraterritorial". وذلك حرصاً منه على عدم تعريض الأماكن المقدسة إلى أي تغيير نتيجة التخطيط المدني الذي قد تواجهه المدينة القديمة. وقد لقي هذا الموقف صدى ايجابياً لدى منظمة الاونسكو التي اصدرت في تشرين أول - أكتوبر - 1968 القرار رقم 343/3 الذي شدّدت فيه على احترام ما تمثله المدينة القديمة والأماكن المقدسة فيها من ارث ثقافي هو ملك الانسانية كلها.

لم يغير الفاتيكان من ثوابت موقفه الذي تمسك به منذ عام 1984 باعتبار القدس وضواحيها جسماً منفصلاً "Corpus separatum". إلا أنه وحرصاً منه على الحضور الكاثوليكي في فلسطين وفي الشرق الأوسط، وحرصاً منه كذلك على سلامة الأماكن المسيحية المقدسة، أبدى استعداداً لاعتماد وسائل أخرى تترجم هذا الحرص بشقيه إلى واقع من دون ان يتخلى عن مبدأ الجسم المنفصل للمدينة المقدسة.

حاولت إسرائيل استغلال هذا التطور الشكلي في الموقف الفاتيكاني لتجرّ الفاتيكان إلى تغيير جوهري وذلك من خلال حصر موضوع التدويل بالأماكن المقدسة دون سواها. وقد ذكرت إسرائيل ان الاهتمام الدولي بالقدس يعود في أساسه إلى وجود هذه الأماكن، وبالتالي فإن اعطاء هذه الأماكن طابعاً دولياً كاف للاستجابة إلى الارادة الدولية عامة وإلى الارادة الفاتيكانية خاصة.

غير ان الفاتيكان رفض الاقتراح الإسرائيلي جملة وتفصيلاً. حاول ابا إيبان خلال لقائه البابا بولس السادس في أكتوبر - تشرين أول 1969 تغيير الموقف الفاتيكاني ولكن دون جدوى مما ادى إلى انقطاع الاتصالات الإسرائيلية - الفاتيكانية. وفي عام 1971 وجه البابا رسالة حادة إلى الرئيس الإسرائيلي قال فيها: "ان الفاتيكان لا يستطيع ان يلتزم بأي اتفاق مع أي دولة لا يعترف

بها. وانه - أي الفاتيكان - لا يمكن ان يعترف بإسرائيل طالما انها في حالة حرب مع دول الشرق الأوسط".

شكلت هذه الرسالة عنواناً لمرحلة جديدة في العلاقات المضطربة بين الفاتيكان وإسرائيل. وتمحور الاضطراب منذ ذلك الوقت حول:

أ. اعتبار القدس عاصمة لإسرائيل.

ب. اعتبار الاهتمام الدولي محصوراً بالأماكن المقدسة دون سواها.

ج. مخطط الحكومة الإسرائيلية لتهويد القدس تحت مظلة التطوير والتحديث المدني.

د. مصادرة الأراضي العربية في المدينة وضواحيها.

هـ. إقامة حزام من المستعمرات اليهودية حول القدس بحجة ايواء المهاجرين اليهود.

وجد الفاتيكان في هذه المشاريع الإسرائيلية مبرراً اضافياً للمطالبة بتدويل المدينة قبل ان يخنقها التهويد.

ترددت اصداء هذا الموقف في العالم الكاثوليكي في اوروبة وأميركا اللاتينية. حتى ان هذه الدول امتنعت عن الاعتراف بإسرائيل رغم كل الضغوطات التي تعرّضت لها من الولايات المتحدة. وقد تأخر اعتراف إسبانيا والبرتغال حتى ما بعد حرب 1973. ولعبت الكنيسة الكاثوليكية العربية دوراً أساسياً في بلورة هذا الموقف والتحريض عليه. ذلك ان هذه الكنيسة بدأت منذ عام 1970 تشعر بخطر التهويد على المدينة المقدسة وعلى الحضور المسيحي فيها.

أبدى الفاتيكان قلقاً كبيراً من جراء هذا الخطر. وفي كانون الأول - ديسمبر - 1971 شدّد البابا بولس السادس "على الحاجة إلى ضمانات لنظام دولي خاص يحفظ للقدس تنوعها وطابها الخاص كمدينة مقدسة ويضمن في الوقت نفسه حقوق الجماعات المختلفة المقيمة فيها والتي تحافظ عليها كمركز روحي لها جميعاً". وتواصلت بعد ذلك بيانات ومواعظ وخطب البابا في مناسبات متعددة، عكست قلقه على مصير مسيحيي القدس وفلسطين "الذين يتهددهم التهجير".

في هذا الوقت بالذات اقدمت ابرشية الآباء المخلّصين في فرنسا على مبادرة اثارت نقمة المسيحيين العرب وغضب البابا. فقد باعت الأبرشية دير نوتردام دوفرانس في القدس إلى الجامعة العبرية. ويشرف هذا الدير الكبير الذي يحتل مساحة واسعة على جدران القدس القديمة. اعترض الفاتيكان على الصفقة امام المحاكم الإسرائيلية وذلك على أساس ان عملية البيع تمت

من دون الحصول على اذن مسبق منه كما ينصّ على ذلك القانون الكنسي. وفيما كان القضاء ينظر في القضية تمّ التوصّل إلى تسوية تخلّت الجامعة العبرية بموجبها عن الدير "وأعادت بيعه إلى الفاتيكان". وعندما قضي الأمر على هذا النحو قام مسؤول في وزارة خارجية الفاتيكان المونسينيور جيوفاني بيننللي بزيارة لإسرائيل لإعادة استلام الدير.

فوظفت إسرائيل الزيارة لفتح صفحة جديدة مع الكرسي الرسولي قام على اثرها موشي دايان بزيارة الفاتيكان. غير ان هاتين الزيارتين على تباعد المسافة الزمنية بينهما، لم تغيرا من طبيعة العلاقات المضطربة بين إسرائيل والفاتيكان.

وفي المحطة الأخيرة، محطة ما بعد اتفاقات التسوية العربية المصرية والفلسطينية والأردنية مع إسرائيل، نلاحظ ان العلاقات بين إسرائيل والفاتيكان ظلت متوترة وسلبية حتى بعد لقاء البابا بولس السادس برئيسة الحكومة الإسرائيلية غولدا مائير في كانون الثاني - يناير - 1973. واستمرت على هذه الحال إلى أن قام الرئيس المصري انور السادات في تشرين الثاني - نوفمبر 1977 بزيارته الشهيرة للقدس. قلبت تلك الزيارة رأساً على عقب طبيعة العلاقات بين إسرائيل ومعظم دول العالم وبصورة خاصة بين إسرائيل والفاتيكان. وفتحت اتفاقات كامب ديفيد، ومن ثم معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية الابواب الدولية المغلقة في وجه إسرائيل على نحو لا سابق له.

كان الفاتيكان قلقاً من استفراد إسرائيل بالقدس وتهويدها. اما الآن فإن قلقه أصبح يتمحور حول احتمال وجود اتفاق إسرائيلي - مصري يقرر مصير القدس من وراء ظهر البابا ومن دون مراعاة مصالح المسيحيين في المدينة المقدسة! سارع البابا في عام 1977 إلى توجيه رسالة إلى كل من الرئيس السادات ومناحيم بيغن، ولعل الرسالتين كانتا آخر مبادرة بشأن القدس قام بها البابا بولس السادس قبل وفاته.

في عام 1978 اصبح يوحنا بولس الثاني البابا الجديد. وكانت مبادرته الأولى التي قام بها امام الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام 1979 تؤكد التزامه بموقف البابا السابق وخاصة لجهة التمسك "بضرورة توفير ضمانات دولية لاحترام الطابع الخاص للقدس".

وبتوجيه من البابا الجديد سلم السفير البابوي لدى الأمم المتحدة الامانة العامة مذكرة تفصيلية حول مفهوم الفاتيكان للضمانات الدولية.

وبموجب هذه المذكرة طالب الفاتيكان بالاعتراف بالتعددية الدينية والتاريخية في المدينة المقدسة وبحق كل جماعة دينية من اتباع الاديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام في ان تمارس حريتها الدينية على النحو الذي تؤمن به.

من دون ان يكون لأي جماعة أي موقع متميز على الجماعات الأخرى. كذلك دعا الفاتيكان إلى اجراء حوار ديني وانساني بناء. ودعت المذكرة في اطار تأكيدها على الحرّيات الدينية والمدنية المتساوية للجميع، إلى تحديد الأراضي والمواقع الدينية وإلى تأمين الضمانات التي تمكّن المجتمع الدولي من العمل بموجب نظام دولي يحفظ مصالح الاطراف المعنية.

في العام التالي 1980 تم في شهر شباط - فبراير - توزيع وثيقة أخرى في الأمم المتحدة لم تنسب رسمياً إلى الفاتيكان هذه المرة. تضمنت الوثيقة اقتراحاً يقول ان الضمانات اللازمة للوضع الخاص بالقدس يمكن ان يوفرها تآلف عدة دول غربية لها اهتمام تقليدي في الأراضي المقدسة مثل اليونان (عن الارثوذكس) وايطاليا وفرنسا (عن الكاثوليك) وبريطانيا (عن الانكليكان) والولايات المتحدة (عن الانجيليين) وذلك كضامن جماعي للاتفاق الذي يتم التوصل إليه في المنطقة.

كان البابا يوحنا بولس الثاني - وهو من اصل بولندي ومعاد قوي للشيوعية - قد تحالف مع الولايات المتحدة من أجل ضرب الشيوعية ليس في بولندة وحدها، إنما في العالم كله. ولذلك كان البابا حريصاً على قطع الطريق على الاتحاد السوفياتي وعلى كل دولة أخرى من دول الكتلة الشرقية السابقة لمنعها من الحصول على موطئ قدم في القدس من خلال التحالف الذي كان قائماً بين بعض الدول العربية والكرملين. وقد جاء الاقتراح الذي تضمّنته المذكرة بتشكيل هيئة دولية من دول غربية فقط مقصوداً في حدّ ذاته لمنع الشيوعيين السوفييت الذين كانوا يتمتعون بنفوذ سياسي في الشرق الأوسط ومع منظمة التحرير الفلسطينية بصورة خاصة من ان يمدوا نفوذهم إلى القدس.

وفيما كان البابا يوحنا بولس الثاني يبرمج خطوات الفاتيكان على حسابات هذا الموقف المبدأي، اذ بإسرائيل تعلن القدس كلها مدينة موحدة وعاصمة ابدية لها.

كان طبيعياً ان يعتبر البابا الاعلان ضربة موجهة ليس فقط إلى اصحاب الحقوق العرب (مسلمين ومسيحيين) إنما إلى الفاتيكان نفسه الذي لم يتخلَ ابداً عن المطالبة بتدويل المدينة المقدسة وباحترام التعددية الدينية والتاريخية فيها، وبحق الجماعات الأهلية في ممارسة شعائرها الدينية وحقوقها الوطنية بحرّية كاملة.

وقد اكدت الصحيفة الناطقة بلسان الفاتيكان بهذه المناسبة الحاجة إلى نظام شرعي تضمنه سلطة دولية عليا في المدينة المقدسة.

وفي عام 1984 حدد البابا يوحنا بولس الثاني ثلاث مهمات للنظام الدولي الذي يتصوره لإدارة شؤون المدينة المقدسة. وهذه المهمات هي:

أ. حماية الحقوق الدينية والمدنية الخاصة بكل جماعة من الجماعات في فلسطين حماية كاملة.

ب. المحافظة على الطابع المقدس للمدينة وحماية المواقع الدينية فيها.

ج. تشجيع الحوار والتعاون بين المؤمنين من أتباع الديانات التوحيدية.

لم تبدِ إسرائيل أي تجاوب مع اقتراحات الكرسي الرسولي. فقد مضت قدماً في مخططها لتهويد المدينة المقدسة من خلال مصادرة أراضي العرب والتضييق عليهم ومن خلال بناء المستوطنات اليهودية بكثافة حتى ان عدد المسيحيين في القدس لم يعد يتجاوز 2 بالمئة من عدد سكان المدينة المقدسة. مع ذلك استمرت الاتصالات الإسرائيلية - الفاتيكانية، والاتصالات اليهودية - الفاتيكانية تارة بخفر ومن وراء ستار، وتارة أخرى تحت اضواء الاعلام الرسمي، إلى أن عقد مؤتمر مدريد في 30 تشرين أول - أكتوبر - 1991 بين إسرائيل والعرب بحثاً عن حلّ سياسي للصراع العربي - الإسرائيلي. اعطى المؤتمر انطباعاً بأن الأمور في الشرق الأوسط تسير نحو التسوية السياسية، الأمر الذي حمل الفاتيكان على التحرك بهدف المحافظة على دوره كراع للمصالح الكاثوليكية في المنطقة عامة وفي القدس بصورة خاصة. ففي شهر تشرين الثاني - نوفمبر - من عام 1992، أي بعد مرور تسعة أشهر على مؤتمر مدريد، استقبل البابا يوحنا بولس الثاني في الفاتيكان وزير خارجية إسرائيل شمعون بيريز ورحّب بدعوة رسمية تلقاها منه لزيارة إسرائيل. وفي الثلاثين من كانون الأول - ديسمبر من العام التالي 1993 اعترف الفاتيكان بإسرائيل وتبادل معها وثائق الاعتراف الرسمي. وفي عام 1994 اقام معها علاقات دبلوماسية وشارك في شباط - فبراير - في أول مؤتمر مسيحي - يهودي عقد في القدس بمبادرة فاتيكانية حضره ممثلون عن 97 دولة. وفي عام 1997 عقد اتفاق إسرائيلي - فاتيكاني "يشرع للمرة الأولى وضع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في الأراضي المقدسة".

ويعتبر هذا الاتفاق في حدّ ذاته عنواناً أساسياً من عناوين التحول في موقف الكرسي الرسولي من القدس، وذلك استناداً إلى النقاط الثماني التالية التي نقلها إلى الفاتيكان الامين العام للجامعة العربية عصمت عبد المجيد، ووزير خارجية مصر العربية عمرو موسى اثناء لقائهما في القاهرة في السابع عشر من تشرين الأول - أكتوبر 1998 بوزير خارجية الفاتيكان الكاردينال جان لوي توران. وهذه النقاط هي:

أولاً: ان الاتفاق يساعد حكومة إسرائيل بزعامة بنيامين نتنياهو على استمرار تعنتها في عملية السلام وفي استباق نتائج المفاوضات حول الوضع النهائي في شأن القدس.

ثانياً: ان قرار تقسيم فلسطين الرقم 181 لسنة 1947 (الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة) تحدث عن القدس مدينة ذات كيان مستقل منفصل تخضع لنظام دولي خاص تتولى الأمم المتحدة ادارته تحت اشراف مجلس وصاية.

ثالثاً: ازاء احتلال إسرائيل العام 1949 القطاع الغربي من القدس واعلانه عاصمة لها عدل مجلس الوصاية هذه الوضعية واعاد المدينة إلى الفلسطينيين.

رابعاً: اصدر مجلس الأمن قرارات عدة تتعلق بالوضع القانوني للقدس تؤكد على انها أرض عربية فلسطينية وترفض التدابير الإسرائيلية فيها ومنها القرارات 250 و252 وقرار الجمعية العامة رقم 2253.

خامساً: اصدر مجلس الأمن في العام 1993 القرار رقم 799 (في شأن قضية المبعدين) أكد ان اتفاقية جنيف الرابعة تسري على جميع الأراضي التي احتلتها إسرائيل العام 1967 بما في ذلك القدس الشرقية ما مؤداه ان يكون هذا القرار الدولي، مفسراً للقرار الدولي 242 في شأن ما اعتراه من غموض مفتعل في قضية "أراض" أم "الأراضي" التي احتلتها إسرائيل العام 1967.

سادساً: اصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارات خلال العامين الماضيين تحت صيغة "الاتحاد من أجل السلام"، نبهت إلى تأكيد الوضع القانوني للقدس كمدينة فلسطينية محتلة.

سابعاً: الاتفاق مخالف للمادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة التي شددت على عدم المساهمة بأي صورة من الصور في "تكريس الاحتلال".

ثامناً: الجامعة العربية والدول الاعضاء تتطلع إلى توقيع اتفاق بين الفاتيكان والفلسطينيين اصحاب الحق في الأرض والسيادة على القدس في شأن وضع الكنيسة، كما تتطلع إلى تعزيز التعاون والعلاقات مع الفاتيكان وسائر الكنائس المسيحية.

ولقد أكد الفاتيكان في اطار ردّه على هذه النقاط على أمرين أساسيين:

الأمر الأول هو أن الكرسي الرسولي لا يعترف بضمّ إسرائيل للقدس الشرقية عام 1967،

الأمر الثاني هو أن الكرسي الرسولي يعتبر ان اتفاق 1997 لا يتعلق بمسألة القدس بما في ذلك الوصاية على الاملاك الدينية التي يطالب الفاتيكان لها بضمان دولي.

وفي ندوة نظّمتها في القدس البطريركية اللاتينية في تشرين الأول - أكتوبر 1998 قال وزير خارجية الفاتيكان الكاردينال جان لوي توران: "إن أي حلّ منفرد ومفروض بالقوة لا يمكن أن يكون حلاً"، مؤكداً "ان الفاتيكان يرى ضرورة ان تتمتع الأماكن المقدسة في القدس بالحماية "بموجب وضع دولي خاص".

وقال: "معنى وقيمة القدس عظيمان للغاية وفريدان للغاية إلى حدّ يتجاوزان معه مصالح دولة واحدة أو الاتفاقات الثنائية بين دولة وأخرى".

وأكد توران ان: "ان القدس محتلة بشكل غير شرعي من قبل إسرائيل"، مع اشارته في الوقت نفسه إلى أن "شيئاً لا يمنع القدس من تفرّدها ووحدتها من ان تكون رمزاً وطنياً للشعبين الإسرائيلي والفلسطيني اللذين يطالب كل منهما بها عاصمة له".

وبعد الاتفاق الذي تمّ التوصل إليه بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية بمبادرة أميركية في تشرين الأول 1998 (وهو الاتفاق الذي يحمل اسم واي ريفر نسبة إلى مكان انعقاد المفاوضات التي أدّت إليه)، جدّد الفاتيكان تمسّكه بموقفه المبدأي من القدس في بيان صدر عن بطريركية اللاتين الكاثوليكية في القدس وتضمّن ثماني نقاط أساسية هي:

1. المطالبة بوضع خاص مضمون دولياً للأماكن المقدسة في القدس.

2. ان الفاتيكان لن يتدخل في الوضع السياسي للمدينة.

3. ان للفاتيكان دوراً في المفاوضات حول مستقبل المدينة المقدسة.

4. وجوب الاعتراف بحقوق سكانها جميعاً.

5. دعوة اليهود والمسيحيين والمسلمين إلى التعاون لكي تكون القدس مكاناً للقاء والمصالحة مع اقتراب الألفية الثانية لميلاد المسيح.

6. وجوب ان تبقى القدس رمزاً عالمياً للأخوة والسلام.

7. التأكيد على الطابع المقدس والتراث العالمي للقدس.

8. التوصّل إلى سلام مستقرّ في القدس.

في الأساس كان الفاتيكان ضد إقامة دولة يهودية في فلسطين من حيث المبدأ. ولقد عارض إقامة هذه الدولة على مدى عقود طويلة.

وكان الفاتيكان ضد تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية التزاماً منه بموقفه المبدأي وحرصاً منه على مصالح الكاثوليك العرب.

وكان الفاتيكان كذلك ضد تهويد مدينة القدس، لأن التهويد يتناقض مع المفاهيم الدينية لوجود المواقع المقدسة فيها.

غير ان المتغيرات السياسية التي عصفت بالشرق الأوسط منذ اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل في عام 1948، ثم احتلال إسرائيل للقدس في عام 1967، وبعد ذلك عقد معاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية في عام 1979، ثم عقد مؤتمر مدريد في عام 1991 واطلاق مسيرة التسوية السياسية التي تجاوزت محطة اوسلو الفلسطينية في عام 1993 (ثم محطة نهر واي قرب واشنطن في عام 1998) ومحطة وادي عربة الاردنية في عام 1994، هذه المتغيرات دفعت بالفاتيكان إلى التحرك للمحافظة على مصالحه كراع للكاثوليك في المنطقة وكقيّم على المراكز الدينية المسيحية في القدس.

هزّت هذه المتغيرات الثوابت الفاتيكانية، إلا أنها لم ترس ثوابت من نوع معاكس أو حتى من نوع آخر. فالمجال لا يزال مفتوحاً امام العالم العربي خاصة وامام العالم الإسلامي عامة للتحرك باتجاه الفاتيكان ولتلقف يد التفاهم والتعاون التي يمدها البابا يوحنا بولس الثاني رغم خيبة الامل العربية والإسلامية من العلاقات الجديدة التي اقامها مع إسرائيل ومع يهود العالم. إن الرفض والتنديد والادانة امر سهل، وهو يفرّج عن النفس، إلا أنه لا يصون حقاً ولا يردع ظلماً ولا يبني علاقة. والمطلوب صون الحق العربي في فلسطين وفي القدس دينياً (إسلامياً ومسيحياً) ووطنياً. والمطلوب ردع الظلم الإسرائيلي المتوحش في مصادرة الأراضي وبناء المستوطنات وتهويد المدينة المقدسة. والمطلوب بناء علاقة مع المرجعيات المعنية بهذا الأمر دينياً واخلاقياً وسياسياً وفي مقدمة هذه المرجعيات المسيحية: الفاتيكان والكنيسة الارثوذكسية والكنائس الانجيلية المعادية للصهيونية داخل الولايات المتحدة وفي العالم. وهو ما سوف أفصّله في الفصل الخاص "من أجل اعلام عربي لنصرة القدس".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الخطر الأقسى على المسجد الأقصى

في الحادي والعشرين من شهر آب - أغسطس من عام 1969 امتدت يد الاجرام الصهيونية إلى المسجد الأقصى وأشعلت فيه النار. أتى الحريق على 1500 متر مربع من اصل 4400 متر مربع هي مساحة المسجد الاجمالية، فدمّر الحريق بالكامل منبر صلاح الدين الأيوبي ومسجد عمر ومحراب زكريا، ومقام الأربعين، وثلاثة أروقة من الأعمدة والأقواس، كما دمّر السقف وأجزاء من القبة الخشبية الداخلية و48 شباكاً مصنوعاً من الجص والزجاج الملون، واحترقت مفروشاته من السجاد القديم، وأتت النيران كذلك على مجسم لسورة الإسراء مصنوع من الفسيفساء.

كان الهدف من وراء تلك العملية تدمير المسجد الأقصى. لم تكن تلك المحاولة الأولى ولن تكون الأخيرة. ولعل آخر محاولة هي التي اعترف بها وزير الأمن في الحكومة الإسرائيلية تساحي هنغبي في 24 تموز - يوليو - الماضي 2004.

جرت عدة محاولات صهيونية حتى الآن للتخلص من المسجد الأقصى.

كانت المحاولة الأولى مباشرة بعد احتلال القدس.

ففي شهر آب - أغسطس 1967 - أي بعد شهرين من احتلال القدس - اقتحم الحرم الابراهيمي خمسون مسلحاً يهودياً يتقدمهم حاخام الجيش الإسرائيلي شلومو غورن (الذي اصبح فيما بعد حاخام إسرائيل الأكبر). وكان هذا الاقتحام المسلح أول تدنيس للحرم القدسي، كما كان أول خرق يهودي لقانون "هالاشا" اليهودي الذي يحرم على اليهود دخول "جبل الهيكل" قبل مجيء المسيح. حاول المقتحمون يومها تدمير المسجد الأقصى ولكنهم فشلوا ثم مُنعوا.. وقد مُنعوا لأنهم فشلوا وانكشفوا.

وجرت المحاولة الثانية بعد ذلك بعامين. في شهر آب - أغسطس 1969 والتي أشرت إلى بعض نتائجها المدمرة.

وفي شهر آب من عام1979 قامت جماعة غوش ايمونيم بالمحاولة الثالثة. جرى التخطيط لهذه المحاولة (اثناء حكومة مناحيم بيغن) في مستعمرة كريات أربع التي تقع في قلب مدينة الخليل. وكان جهاز المخابرات "الشين بيت" على علم بها. وقد وضعت الجماعة مخططيْن لتدمير المسجد الأقصى. يقضي الأول بتزنير المسجد بالمتفجرات ونسفه. ولكن الخوف على ما يسميه اليهود "حائط المبكى" ادى إلى صرف النظر عن هذا المخطط. اما المخطط الثاني فهو قيام طائرة حربية يخطفها طيار عسكري بإلقاء القنابل المحرقة والمدمرة من الجو على المسجد. ولكن الخوف من ان تصيب اشلاء

المسجد المتطايرة المستوطنين اليهود في القدس القديمة، أدى إلى صرف النظر عن هذا المخطط أيضاً.

لم تفشل هذه المحاولات، ولم تُكتشف، ولكن اعتُرف بها بعد ان تخلى عنها اصحابها. فالمخططان اللذان وضعتهما غوش ايمونيم لم يُعلن عنهما الا في عام 1984 أي بعد مرور خمس سنوات على محاولة تنفيذهما. إن الذين خططوا لكل هذه المحاولات لم يكونوا يهوداً فقط. الذي أحرق المسجد الأقصى في عام 1969 لم يكن يهودياً. كان صهيونياً مهاجراً من استراليا من اعضاء الحركة الصهيونية المسيحانية التي تعتبر قيام إسرائيل واحتلال القدس وبناء هيكل يهودي على انقاض المسجد الأقصى شروطاً لازمة التحقيق للعودة الثانية للمسيح.

كذلك لم يكن اختيار شهر آب - أغسطس من ذلك العام صدفة.

ففي التاسع من شهر آب - أغسطس من عام 586 قبل الميلاد سقطت مملكة يهوذا على يد نبوخذ نصر ملك بابل؛ فأحرق جيشه مدينة القدس وهدم الهيكل اليهودي وسبى اليهود إلى بابل، إلى أن أعادهم إليها بعد 70 عاماً قورش ملك الفرس.

وفي التاسع من شهر أغسطس - آب أيضاً من عام 70 بعد الميلاد، انتقم الرومان من اليهود ودمّروا الهيكل الثاني الذي أُعيد بناؤه بعد العودة من بابل، وقد دام الحكم الروماني على فلسطين 700 عام إلى أن حرّرها العرب المسلمون في عام 637 ميلادية.

لذلك تشكل ذكرى التاسع من أغسطس - آب من كل عام مناسبة دينية حيث يتجمّع اليهود امام حائط البراق الذي يعتقدون انه الجزء الوحيد المتبقّي من الهيكل بعد تدميره الثاني، ولذلك يسمونه بحائط المبكى. وهناك يجددون العهد بإعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، وفي موقعه.

في 20 آب من عام 1929 حاول اليهود لأول مرة السيطرة على الجدار بالقوة. فتصدى لهم أهل القدس. كانت فلسطين يومذاك تحت الاحتلال البريطاني. وكانت بريطانيا تتواطأ مع اليهود وتحميهم. الا ان المظاهرات الشعبية التي عمّت المدن الفلسطينية حملت سلطات الاحتلال على التراجع. فوافقت على تشكيل لجنة دولية للتحقيق وللتوصية بما يجب ان يلتزم به الطرفان المسلمون واليهود. وقد أقرت اللجنة الدولية التوصيات الثلاث التالية:

1. تعود للمسلمين وحدهم ملكية الحائط الغربي، أي حائط البراق كما يسميه المسلمون أو حائط المبكى كما يسميه اليهود. ولهم وحدهم - أي للمسلمين -

الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم القدسي الشريف.

2. تعود للمسلمين أيضاً ملكية الرصيف الكائن امام الحائط وامام المحلة المعروفة بـ "حارة المغاربة" المقابلة للحائط لكونه موقوفاً حسب احكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير. (أُزيلت حارة المغاربة عن آخرها فور احتلال القدس في حزيران عام 1967).

3. لا يجوز اعتبار ادوات العبادة التي يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط، امراًمن شأنه ترتيب أي حق عيني لليهود في الحائط أو في الرصيف المجاور له.

أما اليوم، فهناك تصميم أميركي يجري تنفيذه على الأرض بالتجاذب مع المخطط الإسرائيلي لتهويد القدس بكاملها ولو على مراحل. منها نقل السفارة الأميركية اليها، وحثّ الدول الأخرى على الاقتداء بالإدارة الأميركية. وتعمل مؤسسة "السفارة المسيحية من أجل القدس" إلى جانب مؤسسات انجيلية من اليمين المسيحي الأميركي على دعم إسرائيل وعلى تمويل مشروعاتها الاستيطانية في القدس، منها على سبيل المثال لا الحصر مؤسسة الصداقة الدولية بين المسيحيين واليهود ومقرّها في شيكاغو، وهي تجمع التبرعات من المسيحيين اليمينيين في الولايات المتحدة لتشجيع الاستيطان اليهودي. ومنها مؤسسة أبناء الهيكل، ومهمتها العمل على بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.

تؤمن هذه المؤسسات الدينية الأميركية الواسعة الانتشار بأن ارادة الله متمثلة بقيام إسرائيل. وان الله يساعد من يساعد إسرائيل ويعادي من يعاديها. وان قيام إسرائيل يؤكد توافر الشروط التي طال انتظارها من أجل العودة الثانية للمسيح، وبالتالي فإن الدفاع عن إسرائيل هو عمل ديني يتعلق بثوابت ايمانية وليس مجرد موقف سياسي يتأثر بالمتغيرات من الاحداث.

إن في الولايات المتحدة الدولة العلمانية (والتي تقول بفصل الدين عن الدولة وان كان الدستور لا ينصّ على ذلك) 1400 محطة دينية يعمل فيها 80 ألف قسيس انجيلي أكثريتهم الساحقة من اتباع هذه المدرسة التي تعتبر إسرائيل تجلياً الهياً وتجسيداً لنعمه من أجل خلاص بني البشر!

لذلك ما ان تواجه إسرائيل ازمة أو مأزقاً، حتى يتحرك هذا الجيش الإعلامي - الديني عبر شبكة الكنائس الانجيلية اليمينية المتطرفة ومحطات الاذاعة والتلفزيون وسلسلة المطبوعات اليومية والاسبوعية التي تتولى اصدارها.

ينطلق التحرك من مقولة ثابتة من مقولات هذه الحركات الدينية، وهي ان القوانين الدولية الوضعية لا تطبق على إسرائيل لأن إسرائيل تختلف عن كل الكيانات السياسية الأخرى في العالم من حيث ان وجودها هو تجسيد لإرادة الهية وليس استجابة لحاجة انسانية. وتالياً فإن ما يجب ان يطبق على إسرائيل هو الارادة الإلهية التي وردت في الكتب المقدسة وأبرزها الوعد الإلهي لشعب الله المختار. وما يقرره الله لا تلغيه ولا تعدله قرارات الأمم المتحدة، ولا يعطله أو يؤخره القانون الدولي.

تكوّنت هذه الأدبيات الدينية التي تجعل من اليهود الشعب المؤتَمَن على الخطة الإلهية التي يتحدد بمقتضاها مصير البشرية جمعاء، والتي تجعل من إقامة دولتهم المدخل الوحيد الذي لا بد منه إلى هذه الخطة بما تعنيه من تمهيد للعودة الثانية للمسيح، وهي العودة التي تحسم مصير صراع الايمان والفكر والتي تنتهي بانتصار المسيح وسيادته على العالم مدة ألف عام ومن ثم تقوم الساعة.

من خلال هذه الأدبيات اصبح الايمان بمساعدة اليهود في إقامة دولة في فلسطين نوعاً من العبادة التي تعبّر عن المشاركة الانسانية في تحقيق الارادة الإلهية. أي أن الانسان يعرف ما يريده الله من خلال قراءته للنبوءات التوراتية. ثم يعمل على تحقيق ما يريده الله في ضوء ما توحي له هذه القراءة.

في ضوء هذه الأدبيات الدينية، وفي ضوء هيمنة المؤسسات التي تعتنق هذه الخلفية وتروّج لها، على القرار السياسي الأميركي، يمكن فهم خلفية الموقف الرسمي الأميركي المعارض لمبدأ عودة الفلسطينيين إلى ديارهم عملاً بقرار مجلس الأمن الدولي 194، والذي يشجع في الوقت نفسه اليهود على الاستيطان في إسرائيل وفي بقية الأراضي الفلسطينية المحتلة! كما يمكن فهم التشجيع والتمويل الأميركيين لمشاريع الاستيطان في غزة والضفة الغربية والتأييد المطلق لكل ما تقوم به إسرائيل من أعمال بصرف النظر عن الشرعية الدولية. فالمهم هنا شرع الله لا الشرعة الدولية.

ومن الواضح ان سياسة الرئيس جورج دبليو بوش ومواقفه من الانتفاضة الفلسطينية وتغطيته للجرائم التي يرتكبها الجنرال شارون رئيس الحكومة الإسرائيلية تتمّ على قاعدة هذا الايمان.

وكان الكونغرس الأميركي جدّد تبنّيه لقرار نقل السفارة الأميركية إلى القدس في شهر أيلول - سبتمبر 2002 ووقّع عليه الرئيس بوش نفسه استجابة لطلب اليمين الانجيلي المتطرف. وهو ما لم يفعله أي رئيس أميركي قبله.

صحيح ان الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة الارثوذكسية، وكذلك العديد من الكنائس الانجيلية الأميركية الأخرى تعارض عمليات التهويد العقدي والتوظيف السياسي للمسيحية وتعتبرها تشويها لها وتضليلاً للمسيحيين المؤمنين، الا ان الصحيح في الوقت نفسه ان الدور السياسي الذي تقوم به منظمة السفارة المسيحية الدولية باختطاف المسيحية واستغلال اسمها وشعاراتها، يكاد يصبح الدور الأهم في التأثير على صناعة القرار الأميركي من قضايا الشرق الأوسط عامة ومن الصراع العربي - الإسرائيلي تحديداً.

في المؤتمر السنوي الذي عقدته هذه الحركة في واشنطن في تشرين الثاني - نوفمبر 2002، قال أحد قساوستها بات روبرتسون "ان الفلسطينيين ليسوا سوى مجموعة من العرب قدمت إلى إسرائيل منذ عدة عقود فقط، وان ادعاءهم بالأرض هو ادعاء حديث بينما ادعاء اليهود يعود إلى ثلاثة آلاف عام. وان جبل الهيكل هو لإسرائيل وليس للفلسطينيين". واستشهد بالفصل 33 من التوراة حيث يدعو الرب موسى إلى وراثة أرض كنعان محذراً من ان يُبقي فيها على أحد من الكنعانيين "لانهم سيتحولون إلى اشواك في الخواصر وإلى عيدان في العيون لينغصوا عليكم حياة الهناء في أرضكم".

إن هذه الحركة الدينية، باعتقاداتها وبتعاليمها التوراتية - المخالفة للمبادئ المسيحية الكاثوليكية والارثوذكسية والانجيلية - تهيمن على المطبخ السياسي الأميركي فيما يتعلق بالشرق الأوسط وهي التي تتولى بلورة وصياغة القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية وبقضية القدس تحديداً.

ومن اتباع هذه الحركة شخصيات أميركية سياسية ودبلوماسية وإعلامية وعسكرية تتبوأ مراكز قيادية بارزة. كان منها مثلاً قبل الرئيس الحالي جورج دبليو بوش، الرئيس الاسبق رونالد ريغان.

ففي عهده، اصبح تقليديا دعوة شخصية دينية أو أكثر من هذه الحركة إلى البيت الابيض في كل مرة يجد الرئيس الأميركي نفسَه مدعوا لاتخاذ قرار جوهري يتعلق بالشرق الأوسط. أهمية هذه المشاركة الدينية هي العمل على توجيه القرار السياسي الأميركي بحيث يتوافق مع ارادة الله كما تحدّدها النبوءات التوراتية. ومنذ حادث 11 أيلول - سبتمبر 2001 والقس جيري فولويل يلعب هذا الدور في ادارة الرئيس جورج بوش. وكان القس بات روبرتسون قد أداه على أحسن وجه في عهد الرئيس الأسبق رونالد ريغان. ففي مفهوم هذه الحركة الأصولية، ان ارادة الله تحددها التفسيرات الموضوعة لمجموعة من النبوءات الدينية التي ورد ذكرها في بعض اسفار التوراة والعهد القديم، مثل سفر الرؤيا، وسفر حزقيال، وسفر يوحنا، وغيرها. ومن هذه النبوءات معركة هرمجيدون التي تليها مباشرة العودة الثانية للمسيح.

لقد كان القس روبرتسون في دبابة الجنرال دايان عندما احتلّ القدس في عام 1967، وكان القس جيري فولويل في دبابة الجنرال شارون عندما احتلّ بيروت في عام 1982.

السؤال الآن: ما العمل؟

في عام 1979 أي بعد عشر سنوات من حريق المسجد الأقصى، شكلت منظمة المؤتمر الإسلامي لجنة خاصة لوضع استراتيجية مشتركة لتحرير القدس. وبعد 25 عاماً على تشكيلها فإن السؤال الذي يفرض نفسه هو ماذا حققت هذه اللجنة حتى الآن؟ ان الجواب الذي لا يحتاج إلى عناء بحث وتفكير هو لا شيء. ولكن بالمقارنة، تأسست في واشنطن "مؤسسة معبد القدس" برئاسة رايزنهوف رئيس منظمة السفارة المسيحية الدولية مهمتها جمع التبرعات والمساهمات المالية لتدمير الأقصى وبناء الهيكل. وانشأت هذه المؤسسة في مدينة القدس القديمة معهداً خاصاً باسم "ياشيف اتيريت كوهانيم" أي معهد تاج الحاخاميين لإعداد الكهنة الذين سيخدمون في الهيكل الثالث بعد بنائه بما في ذلك مناسك التضحية بالحيوان.

كما موّلت عملية تجري منذ سنوات لاختيار حجارة البناء وصقلها وتجميعها في موقع خاص إلى أن تحين ساعة الصفر. وساعة الصفر، هي تدمير المسجد الأقصى.

وفي كتابه "The Last Late Planet Earth" يقول القس هول ليندسي مؤلف الكتاب، وهو من كبار منظري الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة: "لم يبقَ سوى حدث واحد ليكتمل المسرح تماماً أمام دور إسرائيل في المشهد العظيم الأخير من مأساتها التاريخية. وهو إعادة بناء الهيكل القديم في موقعه القديم. ولا يوجد سوى مكان واحد يمكن بناء الهيكل عليه استناداً إلى قانون موسى في جبل موريا حيث شيد الهيكلان السابقان".

ورغم ان كل أعمال التنقيب عن بقايا الهيكلين المدمرين تحت الحرم القدسي الشريف لم تعثر على دليل واحد أو حتى على حجر واحد.. فإن ثمة اصراراً على ان المسجد الأقصى يقوم في موقعهما، وانه لا بد من تدميره لبناء الهيكل الثالث على انقاضه!

وضع المهندس اليهودي "ايفي يوناه" تصميم الهيكل الثالث. وأقرّت التصميم الحاخامية في إسرائيل والدياسبورا. كما أقرّته المنظمات اليهودية المختلفة. يبقى تهديم المسجد الأقصى. فالقرار بالتهديم اتُخذ منذ سنوات اما التنفيذ فانه يتم تدريجياً وعلى مراحل بمعوليْن:

معول التطرف الديني الصهيوني ومعول الخنوع العربي والإسلامي. ولا شك في ان المعول الثاني أشد خطراً على المسجد وأكثر فعالية في مخطط تدميره.

من هنا فإن انقاذ المسجد الأقصى، وبالتالي انقاذ القدس، وفلسطين يتطلب وعياً عربياً إسلامياً حقيقياً، وتعاوناً إسلامياً - مسيحياً عالمياً حقيقياً أيضاً حتى تتحرر القدس من دنس الاحتلال وحتى تستعيد دورها عاصمة للسلام والإخاء بين المؤمنين جميعاً. إن هذا التعاون ليس ممكناً فقط ولكنه ضروري أيضاً. ومن دونه لن تجد إسرائيل ما يعطل مشروع التهويد الذي تسرّع الخطى في مسيرة تنفيذه.

لقد بدأ العد العكسي لتدمير المسجد بكل ما يرمز إليه منذ سنوات وتحديداً منذ احتلال القدس في عام 1967. وإذا كان تحقيق هذا الهدف قد تأخر حتى الآن فلأسباب سياسية وتقنية يهودية - صهيونية. وليس لأن العرب والمسلمين يمنعون تنفيذه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

من أجل إعلام إسلامي مسيحي لنصرة القدس

يواجه الفلسطينيون العرب مسلمين ومسيحيين خطر تهويد مدينة القدس، الأمر الذي لا يعني فقط وضع مقدساتهم الدينية في قبضة المتطرفين اليهود المشبعين بثقافة إلغاء الآخر المختلف دينياً وعنصرياً فقط، ولكنه يعني أيضاً إلغاء الحقوق القومية للفلسطينيين في هذه الأرض المقدسة.

ويتمتع هؤلاء المتطرفون بدعم وتأييد حركة دينية انجيلية متصهينة في الولايات المتحدة تؤمن بالعودة الثانية للمسيح، وبانه لا بد ان تسبق هذه العودة ثلاث اشارات:

الاشارة الأولى: هي قيام صهيون "إسرائيل". وقد قامت إسرائيل في العام 1948 م. ولذلك اعتبر الصهيونيون المسيحيون في الولايات المتحدة هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ الحديث لأنه جاء مصدقاً للنبوءة الدينية التي تقول بأن صهيون يجب ان تعود حتى يعود المسيح، فالمسيح لا يظهر الا بين اليهود، ولذلك لا بد من المساعدة على تجميعهم كشرط للظهور الثاني للمسيح.

الاشارة الثانية هي تهويد مدينة القدس: ولقد احتلت إسرائيل القدس في عام 1967 م. ويعتقد الانجيليون الصهيونيون انها المدينة التي سيمارس المسيح منها حكم العالم بعد قدومه الثاني المنتظر، ولذلك تضغط الكنائس الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة من أجل الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، ولقد تجاوب الكونغرس بمجلسيه الشيوخ والنواب مع هذه الضغوط.

كان ذلك في أبريل - نيسان 1990 م. عندما قرّر نقل السفارة الأميركية إليها من تل أبيب على ان يتم ذلك في العام 1999، ورغم ان مبنى للسفارة الأميركية قد أُقيم بالفعل على أرض هي في الأساس تابعة للأوقاف الإسلامية ولأسرة الخالدي المقدسية، فإن الانتقال لم يتمّ رسمياً بعد تجنباً لردود فعل عربية وإسلامية تعرقل المساعي التي تقوم بها الولايات المتحدة لتحقيق تسوية للقضية الفلسطينية. الا ان الكونغرس جدّد مرتين منذ ذلك الوقت الالتزام بالقدس عاصمة لإسرائيل وبنقل مقرّ السفارة الأميركية اليها.

الاشارة الثالثة هي إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى: لقد وُضعت خريطة الهيكل الجديد، فيما تتواصل الحفريات تحت المسجد بحجة البحث عن آثار يهودية مطمورة. وفي الوقت نفسه يتم اعداد وتدريب كهان الهيكل في معهد خاص بالقدس. اما الأموال اللازمة فقد جُمع معظمها وأودعت في حساب خاص باسم "مشروع بناء الهيكل".

ويؤمن أتباع الكنائس الصهيونية المسيحية انه بعد اكتمال المشروع، ستقع معركة هرمجيدون المدمرة التي يظهر المسيح فوقها مباشرة، ليرفع إليه بالجسد المؤمنين به ليحكم العالم من القدس مدة ألف عام تقوم بعدها القيامة.

هناك المشترك في الايمان الصهيوني اليهودي والصهيوني المسيحي. وهذا المشترك هو "تنفيذ وعد الله لبني إسرائيل (؟)" ليس فقط بإقامة دولة يهودية داخل حدود إسرائيل الحالية، إنما بإقامة هذه الدولة على كل "الأرض الموعودة". ولذلك فإن أحد أبرز قادة الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة القس جيري فولويل يقول: "إنني مع كوني سعيداً لعودة اليهود إلى فلسطين ولقيام إسرائيل، فإنني أشعر ان اليهود لم ينجزوا مهمتهم تماماً بعد. إن على اليهود اليوم استرجاع كل الأرض التي اعطاها الله للعبرانيين. أي ان على اليهود ان يملكوا كل الأرض التي منحهم الله قبل عودة المسيح وكشرط مسبق لهذه العودة. وان على العرب مغادرة هذه الأرض لأن هذه الأرض تخصّ اليهود. الله أعطى كل هذه الأرض لليهود".

ومن أهم المؤسسات التي تشرف عليها هذه الحركة الدينية المتصهينة مؤسسة "السفارة المسيحية الدولية من أجل القدس"، والتي تقوم بأعمال إعلامية وتمويلية وسياسية على درجة كبيرة من الخطورة، داخل الولايات المتحدة وفي العالم كله.

تكوّنت هذه المنظمة في الثلاثين من سبتمبر - أيلول 1980 في القسم الغربي من مدينة القدس رداً على مبادرة 13 دولة بنقل مقار سفاراتها من القدس إلى تل أبيب كمبادرة رفض لقرار الحكومة الإسرائيلية تهويد القدس الشرقية وتوحيدها مع القدس الغربية وإعلان المدينة المحتلة "عاصمة ابدية لإسرائيل".

ضرورات البرنامج الإعلامي العربي:

في ضوء هذه الخلفية لا بد لأي برنامج إعلامي عربي إسلامي - مسيحي من أجل القدس ان يأخذ بالاعتبار الأمرين التاليين:

الأمر الأول هو أن ندرك ان تقديم قضية القدس على انها قضية إسلامية أولى، وقضية مسيحية أولى يتم بالتزامن مع ظاهرتين متكاملتين: الظاهرة الأولى هي تشويه صورة الإسلام في الغرب وتصوير المؤمنين به على انهم ابناء ثقافة الارهاب والعنف، وبالتالي فانه يتحتم التحسب لوجود رأي عام - في الغرب على الخصوص - غير مهيأ للتعاطف مع قضية إسلامية لمجرّد انها إسلامية وبصرف النظر عن عدالتها. كما ان هذا الرأي العام الغربي غير ملمّ بأصالة المسيحية العربية وتاريخها وتجذرها في المشرق، وغير متفهّم لدورها

ولالتزاماتها القومية ولإهمية شهادتها في هذه المنطقة من العالم. وتالياً فهو غير مهيّأ لتقبّل اعتبار قضية القدس قضية مسيحية عربية.

أما الظاهرة الثانية فهي عدم تجاهل وجود مساع متواصلة لضرب العلاقات الإسلامية - المسيحية أو التقليل من خطرها وذلك من خلال محاولة الإيحاء بأن الإسلام الذي لا يتعايش مع إسرائيل كدولة يهودية، لا يستطيع ان يتعايش مع المسيحية أيضاً، وبالتالي فإن العمل الإعلامي الإسلامي - المسيحي من أجل القدس الذي يخدم بصورة طبيعية وتلقائية التفاهم والتعاون العربي المسيحي - الإسلامي، يمكن ان يجد نفسه في مواجهة حالة تعمل عن سابق تصور وتصميم على محاولة فكّ هذا الارتباط العفوي والمصيري وتعطيله.

أما الأمر الثاني فهو وجوب ادراك ان المبادرة إلى القيام ببرنامج إعلامي إسلامي - مسيحي على مستوى عالمي حول عدالة القضية الإسلامية المسيحية في القدس تتزامن بعد أحداث 11 أيلول - سبتمبر الارهابية وبعد تداعياتها في افغانستان والعراق وبعد محاولات ربط الإسلام بالإرهاب، مع وجود حملة إعلامية عالمية، كما تتلازم مع المساعي المبذولة لإقرار تسوية سياسية شاملة في الشرق الأوسط من مقتضياتها عدم اثارة قضية القدس في هذه المرحلة بالذات.

إن النهج الذي تجري محاولات حثيثة لإقراره بفك الارتباط بين الحقوق الدينية (الإسلامية والمسيحية) في القدس والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني يفرض في حال نجاحه متغيرات جوهرية وأساسية تؤثر سلباً على تبلور قناعات الرأي العام العالمي من قضية القدس؛ ذلك ان طرح القضية على قاعدة ان الحق الوطني الفلسطيني هو موضع مفاوضة ثنائية بين إسرائيل والحكومة الفلسطينية؛ وان الحق الديني الذي يعني العالمين الإسلامي والمسيحي لن يكون موضع قلق بمجرد ان تتعهد إسرائيل بتأمين حرية الانتقال من وإلى الأماكن المقدسة، وضمان حرية ممارسة الشعائر الدينية في هذه الأماكن، ان هذا الطرح يذري الرماد في عيون الحقيقة. فهو يمسخ الحق القومي في المدينة المقدّسة، ويحجب روح السيادة الدينية عن المواقع الإسلامية والمسيحية فيها، ويكرّس بالتالي تهويد المدينة المقدّسة.

لا توجد استراتيجية عربية أو استراتيجية إسلامية أو استراتيجية إسلامية - مسيحية موحّدة حتى تصاغ حملة إعلامية انطلاقاً منها وحتى تفتح لها آفاقاً في قناعات الآخرين. إن أي حملة إعلامية لا تستند إلى مرتكزات استراتيجية ولا تكون في حدّ ذاتها جزءاً من خطة عمل متكاملة، معرّضة لأن تصبح مجرد صرخة وجدانية.

توجهات البرنامج الإعلامي

يمكن إعداد البرنامج الإعلامي بحيث يتوجه إلى اربع مجموعات من الرأي العام الدولي:

أ - الرأي العام الأميركي الانجيلي:

إن العمل الإعلامي هنا لا بد ان ينطلق من الداخل الأميركي نفسه وبالأسلوب الأميركي نفسه أيضاً. هناك قاعدة متوفرة لهذا العمل تتمثل في:

1. المجلس الوطني لكنائس المسيح National Council of the Churches of Christ الذي يضمّ حوالي 34 كنيسة يبلغ عدد اتباعها زهاء 40 مليون مؤمن. وتصدر عن هذا المجلس مجلة شهرية واسعة الانتشار هي صحيفة القرن المسيحي Christian Centuryكما تصدر عنه مجلة شهرية ثانية "المسيحية والأزمات" The Christianity and Crisis. إضافة إلى ذلك تصدر عن المجلس عدة دوريات أهمها:

- Sejourners

- The other side

- The Reformer

2. المجلس المتحد للكنائس الذي يضمّ الكنائس الكاثوليكية والارثوذكسية والانجيلية، وقد صدر عن هذا المجلس في شهر آذار - مارس 1995 بيان مشترك يتصدى بجرأة وبواقعية لتوصية الكونغرس نقل مقرّ السفارة الأميركية إلى القدس، رافضاً ومحذراً.

3. الكنائس الانجيلية المتفهمة لقضية القدس وللخلفيات السياسية للصراع العربي - الصهيوني مثل الكنيسة المشيخية Presbyterians والكنيسة المنهجية Methodist، والكنيسة المعمدانية Baptists، والكنيسة الأسقفية Episcopalians.

هناك كنائس أخرى مرتبطة عقدياً بالحركة الصهيونية من خلال تأويلاتها للعهد القديم، وهي كنائس تتمتع بحضور إعلامي واسع النطاق. ومن الطبيعي ان تشكل هذه الكنائس سداً في وجه التحرك الإعلامي الإسلامي - المسيحي المشترك الا ان التعاون مع الكنائس الانجيلية المحلية، ومع الكنائس الكاثوليكية والارثوذكسية في الولايات المتحدة يشكل أساساً يمكن الاعتماد عليه للوصول إلى عقول أكبر عدد ممكن من الرأي العام الأميركي المتديّن بطبيعته.

ب - الرأي العام الكاثوليكي (أميركا اللاتينية وأوروبة):

من المفيد هنا استحضار الخلفية التاريخية لموقف الكنيسة الكاثوليكية من الحركة الصهيونية ليكون أساساً للعمل الإعلامي الإسلامي - المسيحي من أجل القدس. وذلك منذ أن أصدر البابا غريغوري الثالث عشر في عام 1581 حكما بادانة اليهود الذي سبقت الاشارة إليه في الفصل الأول.

ثم منذ ان استقبل البابا بيوس العاشر في عام 1904 ثيودور هرتزل وابلغه رفضه إقامة وطن لليهود في فلسطين "لان إقامة وطن يهودي يتناقض مع المعتقد الديني المسيحي".

يتبين من ذلك ان الالتزام الديني الكاثوليكي هو الذي كان يملي موقف الفاتيكان السياسي. وبالتالي فإن العقيدة الكاثوليكية تشكل في جوهرها حاجزا في وجه الحركة الصهيونية.

يوفّر هذا الواقع إمكانية الوصول إلى منابر إعلامية كاثوليكية منتشرة في العالم. ويفتح الطريق للتنسيق مع الأجهزة الإعلامية في دول العالم الكاثوليكي خاصة في أميركا اللاتينية. ويمكن ان تلعب الكنيسة الكاثوليكية العربية دوراً بناءً في هذا المجال. أما في الولايات المتحدة فيمكن الاعتماد أساساً على الكنيسة الكاثوليكية الأميركية ومؤسساتها المختلفة مثل: مؤتمر الرهبان الأميركيين American Bishops Conference ومؤتمر الرفاه الوطني الكاثوليكي National Catholic Welfare Conference ومنظمة الهيئة الكاثوليكية للرفاه في الشرق الأدنى Catholic Near East Welfare association.

ج - الرأي العام الارثوذكسي (روسيا وأوروبة الشرقية):

تتسم علاقات الكنيسة الارثوذكسية تاريخياً بالعداء للحركة الصهيونية. وتشكل هذه الخلفية قاعدة فعّالة لعمل إسلامي - ارثوذكسي مشترك دفاعاً عن المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس.

إن الكنيسة الارثوذكسية العربية رائدة في تمسكها ليس فقط بالأماكن المسيحية المقدسة إنما بعروبة القدس أيضاً. وقد حرصت هذه الكنيسة في مؤتمرات قمم منظمة المؤتمر الإسلامي ابتداء من قمة لاهور 1974 أن تؤكد انها معنية بالتعاون مع العالم الإسلامي من أجل تحرير القدس. وتشكل المداخلة التي القاها البطريرك الياس الرابع في قمة لاهور 1974، والمداخلة التي القاها البطريرك هزيم في قمة الطائف 1981 أساساً لهذا الموقف الارثوذكسي الذي تبنى عليه خطة عمل إعلامي منسقة (2).

ولا شك ان موقف قداسة البابا شنودة رأس الكنيسة القبطية الارثوذكسية من القدس مقدسات وحقوقاً قومية هو موقف متقدّم ومتأصل ورائد يحتذى

به إسلامياً ومسيحياً على حدّ سواء.

د - الشعوب غير الإسلامية وغير المسيحية في آسيا وافريقيا:

لا بدّ من خطة إعلامية موجهة إلى شعوب العالم الآسيوي الذي يتبوأ الآن موقعاً متميّزاً في التأثير على القرارات الدولية من خلال الدور الذي يلعبه في الاقتصاد العالمي، وخاصة اليابان والصين وكوريا والهند، وهي دول لا تلعب فيها المسيحية ولا الإسلام دوراً مؤثراً. ولكن اذا كان العامل الديني يفقد هنا قدرته على التأثير، فإن ثمة عوامل عديدة أخرى يمكن ان يقوم عليها البرنامج الإعلامي، في مقدمتها المصالح الاقتصادية المشتركة (التجارة والنفط). ويمكن ان تقوم دول إسلامية مثل ماليزيا واندونيسيا ودول مسيحية مثل الفلبين بدور الجسر إلى هذه المجموعات نظراً للتقارب الثقافي والجوار الجغرافي والمصالح المتبادلة. ويصحّ الأمر نفسه في افريقيا التي يمكن لتعاون إسلامي - مسيحي أن يلعب دوراً أساسياً في استقطاب الرأي العام الأفريقي.

لا تتمتع إسرائيل ولا الحركة الصهيونية بنفوذ يُذكر في هذه الدول، الأمر الذي يوفر لبرنامج العمل الإعلامي هنا مجالات للنجاح من غير ان يأخذ بالضرورة بعداً دينياً، وذلك لافتقار هذا البُعدْ إلى قوة التأثير المطلوبة في المجتمعات الأهلية.

منطلقات الحملة الإعلامية

يمكن للحملة الإعلامية الإسلامية - المسيحية حول القدس ان تنطلق في مسارين متداخلين ومتكاملين:

1. مسار إسلامي - إسلامي

2. مسار مسيحي - مسيحي

توجَه الحملة في المسار الأول إلى الرأي العام الإسلامي وذلك بهدف تحقيق وعي إسلامي مشترك بعدالة قضية القدس وحيويتها. ومن ثم توظيف هذا الوعي كعامل ضاغط على المحتل الإسرائيلي بعد ان تراجعت قوى الضغط التقليدية الأخرى. ويمكن ان تلعب منظمة المؤتمر الإسلامي بمؤسساتها المتعددة دورها الفعّال كمنظمة تضم العالم الإسلامي كله، سيّما وان المنظمة اتخذت في مؤتمرات عديدة سابقة توصيات بوضع استراتيجية لتحرير القدس، يحتلّ العمل الإعلامي موقعاً بارزاً في هذه الاستراتيجية. كما ان ثمة منظمات إسلامية عديدة تستطيع ان تخلق وعياً إسلامياً حول القدس بما لها من انتشار واحترام لدى شعوب العالم الإسلامي في آسيا وافريقيا.

أما المسار الثاني فيتوجه إلى الرأي العام المسيحي (كاثوليكي - ارثوذكسي - انجيلي..). ويمكن ان يتم ذلك بالتعاون مع ومن خلال:

أ. مجلس كنائس الشرق الأوسط. الذي يضم جميع الكنائس في العالم العربي. وهذا المجلس معني مباشرة بقضية القدس وهو يتطلع للعمل مع العالم الإسلامي من أجل تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي.

ب. مجلس الكنائس العالمي، ومقرّه في سويسرا - جنيف. ويعتبر هذا المجلس أكبر هيئة كنسية جامعة في العالم، ويمكن الانطلاق من قواسم دينية - مشتركة معه من أجل القيام بعمل إعلامي منسق وهادف من خلال المنابر الكنسية الدولية المتوفرة لديه، ومن خلال مؤتمرات وندوات ولقاءات مشتركة تنظم بالتعاون مع هذا المجلس.

ج. مجلس الكنائس الوطنية الأميركية ومجلس كنائس المسيح، ويضم كل من المجلسين مجموعة من الكنائس الكاثوليكية والانجيلية والارثوذكسية المحلية تتمتع بانتشار واسع وبصدقية كبيرة في المجتمع الأميركي.

إن الكنائس العربية القبطية والارثوذكسية والمارونية والكاثوليكية والانجيلية والسريانية وغيرها، تستطيع ان تلعب دور الجسر بين العالم الإسلامي - العربي والعالم المسيحي مباشرة عبر الكنائس الشقيقة وعبر المجالس الكنسية الدولية.

يشمل البرنامج الإعلامي النشاطات الآتية:

1. تنظيم معرض يجول العالم يتضمن:

- مجسّمات للأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية مع شروحات لها.

- مخطوطات عن القدس

- مصنوعات يدوية، الخ..

2. منشورات مصوّرة تتضمن لمحة تاريخية (بلغات العالم الحية) عن التاريخ الديني للمدينة وعن أسس العيش الإسلامي - المسيحي في القدس، كما تبيّن بالصورة والنص سلسلة المآسي التي تعرّض ويتعرّض لها المسلمون والمسيحيون في المدينة المقدسة.

3. استكتاب شخصيات عالمية محترمة مقالات تبين الحق العربي الإسلامي والمسيحي في القدس وتُنشر في كبريات الصحف والمجلات العالمية.

4. إعداد فيلم وثائقي حول القدس وتراثها الديني بصورة عامة يعرض على شاشات التلفزة وفي المدارس والأندية العامة الأخرى في كل انحاء العالم.

5. إعداد فيلم من الصور المتحركة عن القدس وتاريخها مع التركيز على ما يحفل به هذا التاريخ من تعاون إسلامي - مسيحي، وذلك لعرضه على الناشئة في العالم العربي خاصة وفي العالم عامة.

6. تنظيم ندوات فكرية ومؤتمرات شعبية وحلقات دينية يكون محورها القدس تنشر وقائعها في أجهزة الاعلام المختلفة.

7. اعداد دورات رياضية إسلامية ومسيحية باسم القدس، ويخصص ريعها لصيانة المقدّسات الدينية في المدينة المقدسة، ولدعم الحضور الإسلامي والمسيحي فيها.

8. اعداد مسابقات بين طلاب المدارس في العالم العربي حول أفضل مقالة أو دراسة تعدّ عن القدس، وحول افضل رسم عن صروحها الدينية. وكذلك حول أفضل رسم يرمز إلى قدسية المدينة.

9. إطلاق اسم القدس على ساحات رئيسية في كل عاصمة ومدينة كبرى من عواصم العالم العربي ومدنه.

10. تخصيص يوم للقدس في الاعلام العربي بحيث تنشر الصحف مقالات افتتاحية في اليوم المحدد حول موضوع القدس وحول الحق العربي فيها، كما تخصص الاذاعات والتلفزيونات برامج وثائقية عن المدينة المقدسة، وتعلق في الشوارع والساحات العامة لوحات تحمل صورة المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، لتذكير الناس بالرباط الديني المشترك بين الإسلام والمسيحية.

11. عقد اتفاقات مع شركات تلفزة عالمية (سكاي نيوز) - (سي.ان.ان.) - (بي.بي.سي.) وسواها، لاقتطاع وقت محدد - مدفوع الثمن - من أجل تقديم وجهة النظر العربية الإسلامية - المسيحية بالنص والصورة من قضية القدس.

إن التطلع لكسب تعاطف الرأي العام العالمي وتأييده للموقف الإسلامي - المسيحي من قضية القدس يتطلب أولاً توفير الوسيلة لنقل وجهة النظر هذه اليه. ويتطلب ثانياً ان يراعي اعداد وجهة النظر هذه، تفهّم مكوّنات عقلية الجهة المخاطَبة وإدراك سلّم أولوياتها ومصالحها. فالصياغة والمضمون والاخراج والتوقيت تشكل عناصر متكاملة من أجل ايصال الرسالة إلى الضمائر والعقول.

لا يجوز توقع تغيير ما في هذه الضمائر والعقول بين ليلة وضحاها. لا بد من عمل طويل النفس ومبرمج بحكمة. إن تصحيح صورة خاطئة هو أكثر صعوبة من زرع صورة جديدة. ومهمة البرنامج الإعلامي ان يصحّح صورة سلبية وسوداوية خاطئة، وان يزرع صورة ايجابية ومشرقة. وهذه مهمة إعلامية تحتاج إلى كثير من الجهد والمثابرة والتصميم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الوثائق المرفقة

الوثيقة الأولى

عهد النبي صلى الله عليه وسلم للنصارى

هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله إلى كافة الناس أجمعين

بشيراً ونذيراً ومؤتمناً على وديعة الله في خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً. كتبه لأهل ملته ولجميع من ينتحل دين النصرانية من مشارق الأرض ومغاربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وعجميها، معروفها ومجهولها: كتاباً جعله لهم عهداً.

فمن نكث العهد الذي فيه وخالفه إلى غيره وتعدّى ما أمره كان لعهد الله ناكثاً، ولميثاقه ناقضاً، وبدينه مستهزئاً، وللعنة مستوجباً، سلطاناً كان أم غيره من المسلمين المؤمنين.

وان احتمى راهب أو سائح في جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو ردنة أو بيعة، فأنا أكون من ورائهم ذابّاً عنهم من كل عدة لهم بنفسي وأعواني وأهل ملّتي وأتباعي كأنهم رعيتي وأهل ذمتي. وأنا أعزل عنهم الأذى في المؤن التي يحمل أهل العهد من القيام بالخراج الا ما طابت به نفوسهم. وليس عليهم جبر ولا إكراه على شيء من ذلك. ولا يغيّر أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا حبيس من صومعته ولا سائح من سياحته. ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم. ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء مسجد ولا في منازل المسلمين. فمن فعل شيئاً من ذلك فقد نكث عهد الله وخالف رسوله. ولا يحمل على الرهبان والأساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة. وأنا أحفظ ذمتهم أينما كانوا من برّ أو بحر، في المشرق والمغرب والشمال والجنوب. وهم في ذمتي وميثاقي وأماني من كل مكروه. وكذلك من ينفرد بالعبادة في الجبال والمواضيع المباركة. لا يلزمهم ما يزرعوه لا خراج ولا عشر. ولا يشاطرونه لكونه برسم أفواههم.

ويعانوا عند ادراك الغلّة بإطلاق قدح واحد من كل أردب برسم أفواههم. ولا يلزموا بخروج في حرب، ولا قيام بجزية، ولا من أصحاب الخراج وذوي الأموال والعقارات والتجارات مما أكثر من اثني عشر درهماً بالحجة في كل عام. ولا يكلف أحد منهم شططاً. ولا يجادلوا الا بالتي هي أحسن. ويخفض لهم جناح الرحمة. ويكفّ عنهم أدب المكروه حيثما كانوا وحيثما حلّوا. وإن

صارت النصرانية عند المسلمين فعليه برضاها وتمكينها من الصلوات في بيعها. ولا يحيل بينها وبين هوى دينها.

ومن خالف عهد الله واعتمد بالضد من ذلك فقد عصى ميثاقه ورسوله. ويعانوا على مرمّة بيعهم ومواضعهم. ويكون ذلك معونة لهم على دينهم ومعا وفاءً لهم بالعهد، ولا يلزم أحد منهم بنقل سلاح. بل المسلمين يذبّوا عنهم ولا يخالفوا هذا العهد أبداً إلى حين تقوم الساعة وتنقضي الدنيا.

وشهد بهذا العهد الذي كتبه محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم لجميع النصارى والوفاء بجميع ما شرط لهم عليه من أثبت اسمه وشهادته آخره

علي بن ابي طالب ابو بكر بن ابي قحافة

عمر بن الخطاب عثمان بن عفان

ابو الدرداء أبو هريرة

عبد الله بن مسعود العباس بن عبد المطلب

فضيل بن عباس الزبير من العوام

طلحة بن عبد الله سعيد بن معاذ

سعد بن عبادة ثابت بن نفيس

زيد بن ثابت ابو حنيفة بن عبية

هاشم بن عبية عبد العظيم بن حسن

عبد الله بن عمرو بن العاص عار بن يس

وكتب علي بن ابي طالب هذا العهد بخطّه في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بتاريخ الثالث من المحرم ثاني سني الهجرة. وختم بخاتم النبي.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوثيقة الثانية

العهدة العمرية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل أيليا (القدس) من الأمان:

أعطاهم اماناً لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، سقيمها وبريئها وسائر ملّتها. إنه لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم ولا يضارّ أحد منهم، ولا يسكن بأيليا معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل أيليا أن يعطوا الجِزية كما يُعطي أهل المدائن. وعليهم ان يُخرجوا منها الروم واللُّصوت. فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن. وعليه مثل ما على أهل أيليا من الجِزية. ومن أحب من أهل أيليا أن يسير بنفسه وماله مع الروم، ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم، وصلبهم، حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل أيليا من الجِزية؛ ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله. فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن ابي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة (هجرية).

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوثيقة الثالثة

رسالة إلى مؤتمر القمة الإسلامي

في الرباط (بالفرنسية)

الفاتيكان في 21 - 9 - 1969

إثر وقوع جريمة إحراق المسجد الأقصى في عام 1969، تداعى رؤساء دول العالم الإسلامي إلى عقد قمة طارئة في المغرب. وقد وجه البابا بولس السادس الرسالة التالية إلى رئيس المؤتمر الملك الحسن الثاني.

جلالة الحسن الثاني ملك المغرب،

عشية انعقاد المؤتمر الذي سيضم في الرباط رؤساء الدول الإسلامية، كان لجلالتكم الالتفاتة الكريمة بتوجيه رسالة خاصة إلينا. إننا إذ نشكر لكم هذه المبادرة الكريمة ننتهزها مناسبة للتعبير عن مشاعرنا حيال رسالة الوفاق والسلام التي هي رسالتنا.

نؤكد لجلالتكم، أولاً، اننا اطلعنا بسرور على ما أكده مبعوثكم حول نيات الشخصيات الرفيعة التي ستلتقي حولكم في الرباط ونقدر، خصوصاً، كلامهم عن تعزيز الوسائل السلمية في حل النزاع المستعصي الذي حدا بهم إلى هذا الاجتماع وعن استلهام الايمان بالله لإيجاد مخرج للوضع الحالي على أساس من العدالة والكرامة.

اذا كان اللجوء إلى العنف امراً مؤسفاً في كل مكان، فقد لا يوجد مكان في العالم، ربما، توجه فيه الاهانة إلى الله تعالى كما توجه في تلك الأرض المباركة في فلسطين حيث تلتقي الذكريات والمعابد العزيزة على المجموعات الدينية الثلاث التي تؤمن بالله الواحد والرحيم. لذلك نعتقد ان على ممثلي الأديان التوحيدية الثلاثة ان يتفقوا حول الاعتراف بالطابع الفريد والمقدس للأماكن المقدسة وللقدس بنوع خاص.

يجب ان يكون اللجوء إلى الشعور الديني، لا عاملاً من عوامل التفرقة بل مبدأ وحدة يتيح بتجاوز الخلافات السياسية أو العسكرية ويؤدي إلى الوفاق والسلام.

وبالتالي فإن حدثاً مؤسفاً كإحراق الجامع الأقصى، فيما يساهم في ايقاظ المشاعر الدينية ويدفع إلى بذل كل ما من شأنه ان يصون الطابع الفريد والمقدس للقدس، يستطيع ان يمهد اخيراً للبحث عن حلّ مشرف في حق الله تعالى "والديار المقدسة" ويضمن للجميع الوفاق والسلام المنشودين.

واذ نعبّر عن أمنيتنا هذه امام الله، يطيب لنا أن نعتقد بأن أفكارنا تتوافق في ذلك وأفكار جلالتكم، سائلين الله القدير من صميم القلب، أن يغمركم بنعمه، أنتم وجميع الذين سيشتركون معكم في لقاء الرباط المهم.

الفاتيكان في 21 - 9 – 1969

بولس الساس14

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوثيقة الرابعة

بتاريخ 13 - 6 - 1921

ألقى البابا بنديكتوس الخامس عشر الكلمة التالية

لمناسبة تعيين كرادلة جدد:

أيها الأخوة الأجلاء،

للمرة الثانية في هذه السنة نلتقي بكم مدفوعين بعاملين أساسيين، وهما تعيين بعض الأحبار من ذوي المقام الرفيع للانضمام إلى مجمعكم المقدس، وإعلان تعيين رعاة جدد على الكنائس الشاغرة. من ناحية أخرى، وجرياً على التقاليد العريقة، نودّ أولاً ان نحدثكم عن الشؤون المهمة التي تتعلق بادارة الكنيسة الجامعة.

انكم تذكرون من دون شك اننا في المجمع السري المنعقد بتاريخ 10 - 3 - 1919، كنا قد أبدينا الاهتمام الشديد بالمنحى الخطير الذي اتخذته الأحداث إبان الحرب في فلسطين، تلك الأرض الغالية علينا وعلى قلب كل مسيحي، لأنها تباركت بالفادي الإلهي خلال حياته التي قضاها في هذه الدنيا، غير ان مخاوفنا، بدل ان تتلاشى، فانها تتفاقم كل يوم، ويا للأسف.

اذا كنا، آنذاك، قد شجبنا الأعمال النكراء التي قامت بها في فلسطين بعض الجماعات غير الكاثوليكية التي تفاخر بمسيحيتها15، فعلينا الآن ان نجدد هذا الشجب، بعدما رأينا ما تقوم به من استغلال ماكر متعدد الوجوه والأساليب للبؤس المدقع الذي يرزح تحته الاهالي، في ظل هذه الحرب المروعة. اما من جهتنا نحن، فانا لم نتوان عن مساعدة جموع الأهالي المنهوكة القوى، نافحين في الكثير من المؤسسات الخيرية الحياة والدفع الجديد (وهذا ما سنواصل القيام به ما دمنا قادرين عليه) على رغم عجزنا عن تأمين المساعدة التي تفي بسد كل الحاجات، لاسيما اننا بفضل تلك الوسائل التي أمدتنا بها العناية الإلهية علينا ان نلبّي استغاثات المتألمين المتصاعدة نحو الكرسي الرسولي من كل حدب وصوب. كما اننا مضطرون للتصدي بجهد كبير، للتدهور الروحي المتفاقم لدى النفوس الكثيرة العزيزة علينا والتي من أجل خلاصها يعمل الكثيرون من اصحاب الغيرة الرسولية، وفي طليعتهم أبناء "الصاروفي" بطريرك اسيزي.

بالإضافة إلى ذلك، وبعد ان استعاد المسيحيون الأماكن المقدسة، على يد جيوش الحلفاء، شاركنا نحن من كل قلبنا في الابتهاج العام الذي غمر نفوس الخيّرين على رغم ان ذاك الفرح لم يكن خالياً من مشاعر الخيبة التي أعربنا عنها في الكلمة التي القيناها في مجمع الكرادلة المشار اليه، أي انه على اثر ذلك الحدث الرائع والسعيد عمد الإسرائيليون إلى إقامة وضع مميز ومتفوق لهم في فلسطين. واذا كان لنا ما نبديه في ظل هذه الحال الراهنة، فاننا نقول: لقد وقع، ويا للأسف، ما كنا نخشاه. فانه بات معلوماً، في الواقع، ان حال المسيحيين المقيمين في فلسطين لا يُقال فيها انها لم تتحسن فحسب، بل ازدادت سوءاً بسبب الأنظمة المدنية القائمة هناك والتي تهدف، ان لم يكن من خلال نيات القيمين عليها، فمن خلال الواقع حتماً، إلى إبعاد المسيحية عن المواقع التي كانت تشغلها حتى الآن، ليحلّ مكانها اليهود. فلا

يسعنا، من ثم، الا ان نندد بالعمل المتواصل الذي يقوم به الكثيرون لنزع الطابع المقدس عن الأماكن المقدسة وتحويلها إلى اندية للهو، مع كل ما فيها من مغريات دنيوية.

وإذا كان هذا الأمر يستوجب الادانة اينما وجد، فكم بالحري حيثما تصادف، عند كل خطوة أسمى الذكريات الدينية16.

لكن بما ان الاوضاع الفلسطينية لم تعالج حتى الآن معالجة نهائية، فنحن نرفع صوتنا، لكي تتم تسويتها في الوقت المناسب تسوية ثابتة تضمن للكنيسة الكاثوليكية ولجميع المسيحيين الحقوق المكتسبة التي لا تنزع. وبالطبع لا نريد ان تنتقص حقوق الفريق العبري. وإن كنا نود الا تطغى حقوقه، بأي شكل من الأشكال على الحقوق العادلة العائدة للمسيحيين، ومن أجل هذه الغاية نحثّ كل الدول المسيحية، ولا سيما الكاثوليكية منها، على اليقظة والاصرار لدى جمعية الأمم التي، على ما يقال، ستعيد النظر في نظام الانتداب البريطاني في فلسطين.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوثيقة الخامسة

نداء القدس الإسلامي المسيحي

بتاريخ 16 حزيران - يونيو 1996، صدر في بيروت بيان مشترك عن أول قمة روحية إسلامية - مسيحية على مستوى العالم العربي عقدت تحت عنوان: مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس. وقد نصّ البيان على ما يأتي:

مدفوعين بعذابات مدينة القدس، انساناً وأرضاً مباركة، متضامنين مع لبنان الناهض من محنته اوفر قوة وأصلب وحدة، تلاقينا في بيروت، بين 14 و16 حزيران - يونيو 1996 بدعوة مشكورة من مجلس كنائس الشرق الأوسط والفريق العربي للحوار المسيحي - الإسلامي، مرجعيات وقيادات روحية إسلامية ومسيحية من الوطن العربي لنبلغ العالم، أدناه وأقصاه، شعوبه ودوله، صوتنا الواحد، صوت أبنائنا، كل المؤمنين العرب، مسيحيين ومسلمين، نابعاً من تاريخنا الواحد، متوجهاً بنا إلى مستقبلنا الجامع.

مسألة القدس، عندنا، هي أم المسائل. فلسنا حيالها فرقاً، وليس بيننا من يريدها على اسمه وحده. نحن مقدسيون بالانتماء وبالحب، ولا يطمئن لنا ايمان ما دامت القدس في الاسر. والقدس مسألة لا يجوز ارجاء الحديث عنها ولا تأجيله، فهي قبل كل قضية وفوق كل قضية بيننا وبين الصهاينة الغاصبين لأرض فلسطين.

والقدس، شعبها، ابناؤها الفلسطينيون الذين سكنوها جيلاً فجيل، منذ كانت القدس فلم ينقطعوا عنها ولا عرفوا سواها عاصمة، ولا تعرّفوا إلى انفسهم خارج تاريخها.

هؤلاء هم من يكابد اليوم عسراً في رزقه أو طرداً من بيته، أو مهانة في حياته، أو مصادرة لأرضه. وقلقنا معهم وعليهم يدفعنا إلى اعلان موقف واحد من قضيتهم، قضيتنا جميعاً: قضية القدس.

في هذا الموقف يتراءى الحل في استعادة السيادة العربية استعادة تعيد وصل القدس بفلسطين، وهي منها بمنزلة القلب، لا في حلّ سياسي يقطعها عن جسم القدس وشعبها وتراثها وهويتها. فالمقدسات تستمر حية بالمقدسيين الذين يقيمون فيها عبادة لله، في الصلاة والسجود، وفي الحج والتبرّك، وإلا غدت المقدسات متاحف، فيما هي بيوت للدعاء.

انه لا توجد سلطة في العالم تملك حق تهويد القدس أو تدويلها، أو نزع صفتها العربية الإسلامية - المسيحية عنها. على مستوى العالم، وعلى المستوى العربي الإسلامي - المسيحي، فضلاً عن مستوى اية دولة على حدة، لا توجد سلطة، ايا كانت، لها حق التصرف في هوية القدس المسيحية - الإسلامية. وكل قرار من اية جهة محلية أو دولية يمسّ هذه الهوية باطل لا قيمة له، ولا مشروعية تستمد منه أو تبنى عليه.

واذ نجتمع حول القدس ولها، تستفزنا الوقائع التي تشهد ان إسرائيل لا تكف عن انتزاع الأرض من اصحابها بحجج لا تنهض على حق، ولا تكفّ عن حجب رخص البناء والاعمار عن ابنائها الفلسطينيين، ولا تكف عن حصار المدينة بما يخنقها ويمنع ابناءها من الوصول إليها بحرية، ولا تكف عن الحيلولة دون الفلسطينيين وممارسة حقهم في التعبير السياسي عن وجودهم، ولا تكف عن تبديل وجهها السكاني بتوطين من ليسوا منها ودفع ابنائها خارجها، وهذه كلها جرائم تناهض شرائع السماء ومواثيق الأرض. وينبغي ان تتوقف للتو.

ويثير كوامن الغضب كله ان إسرائيل تدفع المقدسيين إلى الهجرة، يستوي في ذلك المسلمون والمسيحيون، وفي ذلك ما يجعل القدس مدينة مصادرة، وهي، في مقدساتها وتاريخها ودعوتها، ملتقى الجميع.

امام هذه الوقائع، لا يسعنا ونحن المؤتمنون على ابنائنا وحقنا وارضنا، الا ان ننادي العالم أجمع:

إن ثمة شعباً، هو الشعب الفلسطيني، مهدد في وجوده ومستقبله فلا تدَعوه مستفرداً به في محنته، ان القدس أرض لقاء بين ابنائها، فلا تسمحوا ان تصير ساحة ذكريات أو متحف مقدسات بلا روح ولا شعب.

إن السلام ثمرة العدل، لا يقوم سلام ولا يدوم على ظلم وقهر واخشى ما نخشاه ان تجمع مصالح الدول فتفرض وضعاً يحرم الشعب الفلسطيني من إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، ويحول دون الانسحاب الكامل من جنوب لبنان وبقاعه الغربي وهضبة الجولان السورية.

اننا من موقع التزامنا قضية القدس:

ندعو مسلمي ومسيحيي العالم أجمع للوقوف إلى جانب الحقوق الفلسطينية المشروعة.

ندعو الكنائس كافة وهيئات العالم الإسلامي ومنظماته جميعاً إلى أن يكون تحرير القدس شغلها الشاغل، فتصرف لها كلّ جهد ودعم في كل مجال، إلى أن يزهق الباطل وينتصر الحق.

ندعو دول العالم والأمم المتحدة ومنظماتها والهيئات غير الحكومية إلى مؤازرة المؤسسات الفلسطينية في القدس لتطوير البنية التحتية وتوفير الدعم لها بما يمكّنها من الاستمرار في تقديم الخدمات الضرورية، في الميادين الصحية والتربوية والاجتماعية والاسكانية.

ندعو الدول العربية والسلطة الوطنية الفلسطينية إلى توحيد موقفها من قضية القدس باعتبارها أمانة في أعناق العرب والمؤمنين في العالم كله، وإلى ان ترتفع في مسؤوليات دفاعها عن عروبة القدس والتعددية الدينية فيها إلى مستوى مكانة هذه المدينة المباركة.

وعلى إسرائيل، باعتبارها سلطة محتلة، ان تكفّ عن أي اجراء من شأنه اغلاق القدس امام أبنائها وكل أبناء الشعب الفلسطيني والمؤمنين كافة. وتتوقف عن كل تدبير يؤول إلى تبديل وجه القدس في بشرها وحجرها، وتقرّ بحقوق الشعب الفلسطيني، فهذه هذ ادنى متطلبات السلام العادل.

إن الجرائم التي ترتكبها إسرائيل بحق المقدسات الإسلامية والمسيحية وضد حقوق الانسان العربي في المدينة المقدسة، ما كانت لتقع لولا الدعم والمساندة والتغطية التي توفرها دول وقوى عالمية مختلفة. وعلى هذه الجهات جميعها ان تكف عن مساندة البغي والعدوان، والا تشارك في تمكين إسرائيل من تنفيذ مخططاتها في الاستيطان والتهويد والتهجير والابادة ضد المدينة المقدسة.

اننا - مسيحيين ومسلمين - لا نعترف بشرعية اية ممثلية اجنبية أو بعثة دبلوماسية لدى إسرائيل تتخذ من القدس مقراً لها، ونعتبر هذا عملاً عدائياً ضد العرب، مسلمين ومسيحيين على السواء.

ونحن، في ما يعنينا، سنكون صوت القدس الواحدة، وسنمدّ يد العون إلى أبنائها في كل ما يثبتهم في ارضهم ويقيمهم في الحرية، ويذود عن المقدسات.

سنعمل معاً، مسلمين ومسيحيين، حتى تكون القدس مدينة مصالحة وعدل وسلام للجميع.

القدس مرتقانا إلى السماء.

نحن مولودون منها بالروح، ونحن شاخصون إليها بالحب، ونحن فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

سلام للقدس، سلام على القدس.

وسلام القدس لكل العالم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوثيقة السادسة

قرارات مجلس الأمن الدولي

منذ احتلال القدس في عام 1967 حتى عام 1980

أولاً: قرار رقم 237 (1967)

بتاريخ 14 حزيران - يونيو 1976

دعوة إسرائيل إلى احترام حقوق الانسان في المناطق التي تأثرت بصراع الشرق الأوسط 1967.

إن مجلس الأمن:

1. يدعو حكومة إسرائيل إلى تأمين سلامة وخير وأمن سكان المناطق التي جرت فيها عمليات عسكرية وتسهيل عودة أولئك الذين فروا من هذه المناطق، منذ نشوب القتال.

2. يوصي الحكومات المعنية بأن تحترم بدقة المبادئ الانسانية الخاصة بمعاملة أسرى الحرب وحماية الاشخاص المدنيين في زمن الحرب التي تتضمنها اتفاقيات جنيف الصادرة في 12 آب - أغسطس 1949.

3. يطلب من الأمين العام متابعة تنفيذ هذ االقرار تنفيذاً فعالاً، ورفع تقرير عن ذلك إلى مجلس الأمن.

تبنيِ المجلس هذا القرار في جلسته رقم 1361 بإجماع الأصوات.

ثانياَ: قرار رقم 250 (1968)

بتاريخ 27 نيسان - أبريل 1968

دعوة إسرائيل إلى الامتناع من إقامة العرض العسكري في القدس.

إن مجلس الأمن،

وقد استمع إلى البيانات التي أدلى بها كل من مندوبيْ الأردن وإسرائيل، وقد نظر في مذكرة الامين العام (S/8561)، خصوصاً مذكرته إلى مندوب إسرائيل الدائم في الأمم المتحدة، واذ يعتبر ان إقامة عرض عسكري في القدس ستزيد في خطورة التوتر في المنطقة، وسيكون لها انعكاس سلبي على التسوية السلمية لمشكلات المنطقة:

1. يدعو إسرائيل إلى الامتناع من إقامة العرض العسكري في القدس في 2 أيار - مايو 1968.

2. يطلب من الأمين العام ان يقدم تقريراً إلى مجلس الأمن بشأن تنفيذ هذا القرار.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 1417، بإجماع الأصوات.

ثالثاً: قرار رقم 251 (1968)

بتاريخ 2 أيار - مايو 1968

إبداء الأسف العميق على إقامة العرض العسكري في القدس.

إن مجلس الأمن،

وقد لاحظ تقريري الأمين العام رقم (S/8561) المؤرخ 26 نيسان - أبريل ورقم (S/8567) المؤرخ 2 أيار - مايو،

وإذ يذكر القرار رقم 250 (1968) الصادر في 27 نيسان - أبريل 1968،

يبدي أسفه العميق على إقامة العرض العسكري في القدس يوم 2 أيار - مايو 1968، تجاهلاً من إسرائيل للقرار الذي اتخذه المجلس بالإجماع يوم 27 نيسان - أبريل 1968.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 1420، بإجماع الأصوات.

رابعاً: قرار رقم 252 (1968)

بتاريخ 21 أيار - مايو 1968

دعوة إسرائيل إلى إلغاء جميع اجراءاتها لتغيير وضع القدس.

إن مجلس الأمن،

1. يشجب فشل إسرائيل في الامتثال لقرارات الجمعية العامة المذكورة أعلاه.

2. يعتبر ان جميع الاجراءات الادارية والتشريعية، وجميع الأعمال التي قامت بها إسرائيل بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك التي من شأنها ان تؤدي إلى تغيير في الوضع القانوني للقدس، هي اجراءات باطلة، ولا يمكن ان تغيّر في وضع القدس.

3. يدعو إسرائيل بإلحاح إلى أن تبطل هذه الاجراءات وأن تمتنع فوراً من القيام بأي عمل آخر من شأنه أن يغيّر في وضع القدس.

4. يطلب من الأمين العام أن يقدم تقريراً إلى مجلس الأمن بشأن تنفيذ هذا القرار.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 1426 بـ 13 مقابل لا شيء وامتناع 2.

خامساً: قرار رقم 267 (1969)

بتاريخ 3 تموز - يوليو 1969

دعوة إسرائيل مجدداً إلى إلغاء جميع الاجراءات التي من شأنها تغيير وضع القدس.

إن مجلس الأمن،

1. يؤكد قراره السابق رقم 252 (1968).

2. يأسف على فشل إسرائيل في ان تظهر أي احترام لقراري مجلس الأمن والجمعية العامة المذكورين أعلاه.

3. يشجب بشدة جميع الاجراءات المتخذة لتغيير وضع مدينة القدس.

4. يؤكد ان جميع الاجراءات التشريعية والادارية والأعمال التي اتخذتها إسرائيل من أجل تغيير وضع القدس بما في ذلك مصادرة الأراضي والممتلكات، هي أعمال باطلة ولا يمكن ان تغيّر وضع القدس.

5. يدعو بإلحاح إسرائيل مرة أخرى إلى أن تبطل جميع الاجراءات التي تؤدي إلى تغيير وضع مدينة القدس كما يطلب منها ان تمتنع من اتخاذ اية اجراءات مماثلة في المستقبل.

6. يطلب من إسرائيل ان تخبر مجلس الأمن دون أي تأخير بنواياها بشأن تنفيذ بنود هذا القرار.

7. يقرر انه اذا أجابت إسرائيل سلباً أو لم تجب على الاطلاق، فإن مجلس الأمن سيعود إلى الاجتماع دون تأخير للنظر في الخطوات التي يمكن ان يتخذها في هذا الشأن.

8. يطلب من الأمين العام ان يقدم تقريراً إلى مجلس الأمن بشأن تنفيذ هذا القرار.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 1485 بإجماع الأصوات.

سادساً: قرار رقم 271 (1969)

بتاريخ 15 أيلول - سبتمبر 1969

ادانة إسرائيل لتدنيس المسجد الأقصى ودعوتها إلى الغاء جميع الاجراءات التي من شأنها تغيير وضع القدس.

إن مجلس الأمن،

1. يؤكد القرار رقم 252 (1968) والقرار 267 (1969).

2. ويعترف بأن أي تدمير أو تدنيس للأماكن المقدسة أو المباني أو المواقع الدينية في القدس، وان أي تشجيع أو تواطؤ للقيام بعمل كهذا يمكن ان يهدد بحدة الأمن والسلام الدوليين.

3. يقرر ان العمل المقيت لتدنيس المسجد الأقصى يؤكد الحاجة الملحة إلى أن تمتنع إسرائيل من خرق القرارات المذكورة أعلاه، وان تبطل جميع الاجراءات والأعمال التي اتخذتها لتغيير وضع القدس.

4. يدعو إسرائيل إلى التقيد بدقة بنصوص اتفاقيات جنيف17 وبالقانون الدولي الذي ينظم الاحتلال العسكري، كما يدعوها إلى الامتناع من اعاقة المجلس الإسلامي الأعلى في القدس عن القيام بمهماته، بما في ذلك أي تعاون يطلبه ذلك المجلس من دول أكثرية شعوبها من المسلمين أو من مجتمعات إسلامية بما يتعلق بخططها من أجل صيانة واصلاح الأماكن الإسلامية المقدسة في القدس.

5. يدين فشل إسرائيل في الالتزام بالقرارات المذكورة اعلاه ويدعوها إلى تنفيذ نصوص هذه القرارات.

6. يكرر تأكيد الفقرة التنفيذية السابعة من القرار رقم 267(1969) القائلة انه في حالة اجابة إسرائيل سلباً أو في حال عدم اجابتها على الاطلاق، سيعود

مجلس الأمن إلى الاجتماع دون عائق لينظر في الخطوات التي يمكن ان يتخذها في هذا الشأن.

7. يطلب من الأمين العام ان يتابع عن كثب تنفيذ هذا القرار، وان يقدم تقريراً إلى مجلس الأمن في اقرب وقت ممكن.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 1512، بـ 11 صوتاً مقابل لاشيء وامتناع 4.

سابعاً: قرار رقم 298 (1971)

بتاريخ 25 أيلول - سبتمبر 1971

الأسف لعدم احترام إسرائيل لقرارات الأمم المتحدة الخاصة باجراءاتها لتغيير وضع القدس.

إن مجلس الأمن،

1. يؤكد مجدداً قراري مجلس الأمن رقم 252 (1968)، رقم 267 (1969).

2. يأسف على تخلف إسرائيل عن احترام القرارات السابقة التي اتخذتها الأمم المتحدة فيما يتعلق باجراءات وأعمال إسرائيل التي تؤدي إلى التأثير في وضع مدينة القدس.

3. يؤكد، بأوضح العبارات الممكنة، ان جميع الأعمال التشريعية والادارية التي قامت بها إسرائيل لتغيير وضع مدينة القدس، ومن ضمنها مصادرة الأراضي والممتلكات ونقل السكان، والتشريع الذي يهدف إلى ضم القطاع المحتل، لاغية كلياً ولا يمكن ان تغيّر ذلك الوضع.

4. يدعو إسرائيل، بإلحاح، إلى الغاء جميع الاجراءات والأعمال السابقة وإلى عدم اتخاذ خطوات أخرى في القطاع المحتل من القدس الذي قد يفهم منه تغيير وضع المدينة، أو قد يجحف بحقوق السكان وبمصالح المجموعة الدولية أو بالسلام العادل الدائم.

5. يطلب من الأمين العام ان يقدم بالتشاور مع رئيس مجلس الأمن، وباستعمال الوسائل التي يختارها ومن ضمنها ممثل أو بعثة، تقريراً إلى مجلس الأمن كما يرى ملائماً وعلى أي حال، خلال ستين يوماً من تنفيذ هذا القرار.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 1582، بـ 14 صوتاً مقابل لا شيء وامتناع صوت واحد.

ثامناً: قرار رقم 452 (1979)

بتاريخ 20 تمور - يوليو 1979

الطلب إلى سلطات الاحتلال الإسرائيلية وقف الأنشطة الاستيطانية في الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس.

إن مجلس الأمن،

إذ يأخذ علماً بتقرير وتوصيات لجنة مجلس الأمن التي ألفت بموجب القرار 446 (1979) لدرس الوضع المتعلق بالمستوطنات في الأراضي العربية المحتلة منذ سنة 1967، بما فيها القدس، والواردة في الوثيقة S/13450،

وإذ يشجب سبشدة عدم تعاون إسرائيل مع اللجنة،

وإذ يعتبر ان سياسة إسرائيل في إقامة المستوطنات على الأراضي العربية المحتلة ليس لها مستند قانوني وتشكل خرقاً لاتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين في زمن الحرب والمؤرخة في 12 آب - أغسطس 1949 وإذ يساوره بالغ القلق من جراء ممارسات السلطات الإسرائيلية لتنفيذ تلك السياسة الاستيطانية في الأراضي المحتلة بما فيها القدس، وعواقب تلك السياسة على السكان المحليين من عرب وفلسطينيين، وإذ يؤكد ضرورة مواجهة مسألة المستوطنات القائمة وضرورة اتخاذ تدابير لتأمين الحماية المنزهة للملكية المصادرة،

وإذ يضع في اعتباره الوضع الخاص لمدينة القدس، وإذ يعيد تأكيد قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالقدس، لا سيما ضرورة حماية وصون البعد الروحي والديني الفريد للأماكن المقدسة في تلك المدينة،

وإذ يلفت الانتباه إلى العواقب الخطرة التي تجرّها سياسة الاستيطان على اية محاولة للوصول إلى حل سلمي في الشرق الأوسط،

1. ينوّه بالعمل الذي أنجزته اللجنة في تحضير التقرير بشأن إقامة المستوطنات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة منذ سنة 1967، بما فيها القدس.

2 يوافق على التوصيات الواردة في تقرير اللجنة المذكورة أعلاه.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 2159، بـ 14 صوتاً مع القرار في مقابل لا أحد ضده، وامتناع صوت واحد.

تاسعاً: قرار رقم 446 (1979)

بتاريخ 22 آذار - مارس 1979

الممارسات الإسرائيلية بإقامة المستوطنات على الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة عقبة خطرة في وجه السلام في الشرق الأوسط ليس لها مستند قانوني، ان مجلس الأمن وقد استمع إلى كلمة مندوب الأردن الدائم وإلى كلمات أخرى ألقيت امام المجلس، وإذ يشدد على الحاجة العاجلة إلى التوصل إلى سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط، وإذ يؤكد مرة أخرى ان اتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين في زمن الحرب والمؤرخة في 12 آب - أغسطس 1949، تنطبق على الأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل منذ 1967، بما فيها القدس:

1. يقرر ان سياسة إسرائيل وممارساتها بإقامة المستوطنات على الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة منذ سنة 1967، ليس لها أي مستند قانوني، وتشكل عقبة خطرة في وجه التوصل إلى سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط.

2 يشجب بشدة فشل إسرائيل في الالتزام بقرارات مجلس الأمن 237 (1967) المؤرخ في 14 حزيران - يونيو 1967 و252 (1968) المؤرخ في 21 أيار - مايو 1968، و298 (1971) المؤرخ في 25 أيلول - سبتمبر 1971، وبالبيان الاجماعي لرئيس مجلس الأمن المؤرخ في 11 تشرين الثاني - نوفمبر 1976، وبقرارات الجمعية العامة 2253 (د إ ط - 5) و2254 (د إ ط - 5) المؤرخين في 4 و14 تموز - يوليو 1967، و32/5 المؤرخ في 28 تشرين الأول - أكتوبر 1977، و33 - 113 المؤرخ في 18 كانون الأول - ديسمبر 1978.

3. يطلب مرة أخرى من إسرائيل بصفتها القوة المحتلة، ان تلتزم بدقة باتفاقية جنيف الرابعة المؤرخة سنة 1949، وان تتراجع عن تدابيرها السابقة وان تمتنع عن اتخاذ أي عمل قد يؤدي إلى تغيير الوضع القانوني والطابع الجغرافي أو أي عمل قد يؤدي إلى التأثير الملموس في التركيب السكاني للأراضي العربية المحتلة منذ سنة 1967، بما فيها القدس، وان تمتنع بشكل خاص عن نقل مجموعات من سكانها المدنيين إلى الأراضي العربية المحتلة.

4 يعلن تأليف لجنة من ثلاثة اعضاء في مجلس الأمن يعينهم رئيس المجلس بعد التشاور مع الأعضاء من أجل دراسة الوضع المتعلق بالمستوطنات في الأراضي العربية المحتلة منذ سنة 1967، بما فيها القدس.

5. يطلب إلى اللجنة ان ترفع تقريرها إلى مجلس الأمن في الأول من تموز - يوليو 1979.

6. يطلب إلى الامين العام تزويد اللجنة بالتسهيلات الضرورية لتمكينها من القيام بمهامها.

7. يقرر ابقاء الوضع في الأراضي المحتلة تحت التمحيص الدقيق والمتواصل، وان يعود إلى الانعقاد في تموز - يوليو 1979، لمراجعة الوضع في ضوء توصيات اللجنة.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 2134، بـ 12 صوتاً مع القرار في مقابل لا أحد ضده وامتناع 3.

عاشراً: قرار رقم 465 (1980)

بتاريخ 1 آذار - مارس 1980

مطالبة إسرائيل بتفكيك المستوطنات القائمة والتوقف عن تخطيط وبناء المستوطنات في الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس.

إن مجلس الأمن،

1. ينوّه بالعمل الذي أنجزته اللجنة في تحضير التقرير المتضمن في الوثيقة S/13679.

2 يوافق على النتائج والتوصيات المتضمنة في تقرير اللجنة المذكورة اعلاه.

3 يدعو كافة الأطراف، وبصورة خاصة حكومة إسرائيل، إلى التعاون مع اللجنة.

4 يشجب بقوة قرارا إسرائيل منع رئيس البلدية فهد القواسمة من حرية السفر للمثول امام مجلس الأمن، ويطلب من إسرائيل السماح له بحرية السفر إلى مقر الأمم المتحدة الرئيس لهذا الغرض.

5 يقرر ان كافة التدابير التي اتخذتها إسرائيل لتغيير المعالم المادية والتركيب البشري وهيكلية المؤسسات في الأراضي الفلسطينية وغيرها من الأراضي العربية المحتلة منذ عام 1967، بما فيها القدس، أو أي جزء منها ليس لها أي مستند قانوني، وان سياسة إسرائيل وأعمالها لتوطين قسم من سكانها ومن المهاجرين الجدد في هذه الأراضي تشكل خرقاً فاضحاً لاتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب، كما تشكل عقبة جديدة امام تحقيق سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط.

6. يشجب بشدة استمرار إسرائيل وتصميمها على متابعة هذه السياسات والممارسات، ويدعو حكومة إسرائيل وشعبها إلى وقف هذه الاجراءات وتفكيك المستوطنات القائمة، وبصورة خاصة إلى التوقف بصورة فورية عن انشاء المستوطنات وبنائها والتخطيط لها في الأراضي العربية المحتلة منذ عام 1967، بما فيها القدس.

7. يدعو كافة الدول إلى عدم تقديم اية مساعدات إلى إسرائيل يمكن استعمالها خاصة فيما يتعلق بالمستوطنات في الأراضي المحتلة.

8 يطلب إلى اللجنة الاستمرار في درس الوضع المتعلق بالمستوطنات في الأراضي العربية المحتلة منذ عام 1967، بما فيها القدس، والتحقيق في الأنباء عن الاستنزاف الجدي للموارد الطبيعية وخصوصاً المائية بقصد ضمان حماية هذه الموارد الطبيعية العامة في الأراضي الخاضعة للاحتلال، وبقاء تطبيق القرار الحالي تحت التمحيص الدقيق.

9. يطلب إلى اللجنة ان ترفع تقريرها إلى مجلس الأمن قبل الأول من أيلول - سبتمبر 1980، ويقرر ان يعود إلى الانعقاد في اقرب وقت ممكن بعد ذلك للنظر في التقرير وفي التطبيق الكامل للقرار الحالي.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 2203 بالإجماع.

حادي عشر: قرار رقم 476، (1980)

بتاريخ 30 حزيران - يونيو 1980

اعلان بطلان الاجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتغيير طابع القدس،

إن مجلس الأمن،

1. يؤكد من جديد الضرورة الملحة لإنهاء الاحتلال المطول للأراضي التي تحتلها إسرائيل منذ عام 1967، بما في ذلك القدس.

2. يشجب بشدة استمرار إسرائيل بصفتها القوة المحتلة في رفض التقيد بقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة ذات العلاقة.

3. يؤكد مجدداً ان كافة الاجراءات والأعمال التشريعية والادارية التي اتخذتها إسرائيل، القوة المحتلة الرامية إلى تغيير معالم مدينة القدس الشريف ووضعها ليس لها أي مستند قانوني وتشكل خرقاً فاضحاً لاتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب كما تشكل عقبة جدية امام تحقيق سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط.

4. يؤكد ان كافة هذه الاجراءات التي غيرت معالم مدينة القدس الشريف ووضعها الجغرافي والبشري والتاريخي هي اجراءات ملغاة وباطلة ويجب الغاؤها وفقاً لقرارات مجلس الأمن ذات العلاقة.

5. يدعو بإلحاح إسرائيل، القوة المحتلة، إلى التقيد بهذا القرار وقرارات مجلس الأمن السابقة وإلى التوقف عن متابعة السياسة والاجراءات التي تمسّ معالم مدينة القدس الشريف ووضعها.

6. يؤكد مرة أخرى تصميمه في حال عدم تقيد إسرائيل بهذا الشأن على دراسة السبل والوسائل العملية وفقاً للأحكام ذات العلاقة من ميثاق الأمم المتحدة لضمان التنفيذ الكامل لهذا القرار.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 2242، بـ 14 صوتاً في مقابل لا أحد ضده وامتناع واحد.

ثاني عشر: قرار رقم 478 (1980)

بتاريخ 20 اب - أغسطس 1980

عدم الاعتراف بالقانون الأساسي بشأن القدس ودعوة الدول إلى سحب بعثاتها الدبلوماسية من القدس.

إن مجلس الأمن،

1. يلوم أشد اللوم مصادقة إسرائيل على "القانون الأساسي" بشأن القدس، ورفضها التقيد بقرارات مجلس الأمن ذات العلاقة.

2. يؤكد ان مصادقة إسرائيل على "القانون الأساسي" يشكل انتهاكاً للقانون الدولي ولا يؤثر في استمرار انطباق اتفاقية جنيف الرابعة المؤرخة في 12 آب - أغسطس 1949، المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب على الأراضي الفلسطينية وغيرها من الأراضي العربية التي تحتلها إسرائيل منذ عام 1967، بما في ذلك القدس.

3. يقرر ان كافة الاجراءات والأعمال التشريعية والادارية التي اتخذتها إسرائيل القوة المحتلة والتي غيرت معالم مدينة القدس الشريف ووضعها واستهدفت تغييرها، وخاصة "القانون الأساسي" الأخير بشأن القدس، هي اجراءات ملغاة وباطلة ويجب الغاؤها.

4. يؤكد أيضاً ان هذا العمل يشكل عقبة جدية امام تحقيق سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط.

5. يقرر عدم الاعتراف بـ "القانون الأساسي" وغيره من أعمال إسرائيل التي تستهدف نتيجة لهذا القرار، تغيير معالم القدس ووضعها ويدعو كافة الأعضاء في الأمم المتحدة الى:

أ. قبول هذا القرار.

ب. دعوة الدول التي اقامت بعثات دبلوماسية في القدس إلى سحب هذه البعثات من المدينة المقدسة.

6. يطلب إلى الامين العام تقديم تقرير إلى مجلس الأمن حول تنفيذ هذا القرار قبل 15 تشرين الثاني - نوفمبر 1980.

7. يقرر متابعة هذا الوضع الخطير.

تبنى المجلس هذا القرار في جلسته رقم 2245، بـ 14 صوتاً مع القرار مقابل لا أحد ضده وامتناع واحد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الوثيقة السابعة

موقف المسيحية المشرقية من القدس

نصّ كلمة سيادة البطريرك اغناطيوس الرابع هزيم بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس امام القمة الإسلامية التي عقدت في الطائف بالمملكة العربية السعودية في يناير - كانون الثاني 1981:

في لقاء كريم كهذا يحلو لي ان أحييكم بإسم المسيحية المشرقية. فالمسيحيون المشرقيون مثلكم ينشدون وجه الله، وفي نوره تعالى يسعون إلى أصالة الانسان وحريته. والفرح يملأ قلوبهم ويتعاظم كلما شهدوا في شعوبكم ازدهاراً واندفاعاً وراء الحق والعدل. فالعدل قبس سماوي، وتقرّب إلى الله، وإعراب عن الطاعة الحقيقية للذات الإلهية.

إننا مثلكم تواقون إلى خالق السماوات والأرض وملتمسون الرضى الإلهي في كل زمان. ومن فيض هذا الرضى نستمطر غيثاً من البركات على كل مجاهد ومناضل من أجل إحقاق الحق ونبذ الباطل. ولا يضعف من عزيمتنا ان يكون للباطل جولات وصولات، فإيماننا ثابت كالجبال بأن الباطل مآله في النهاية إلى زوال.

إنه لمن دواعي الغبطة ان نكون معكم في هذه الديار الكريمة لنقول ما في قلوبنا من شعور وآمال. فالشكر الجزيل لمن أدّى لنا هذه المكرمة، جزاه خيراً رب المكرمات.

هاجس المؤتمر تضميد جراح الاخوة. فما أشرفه هاجساً وما أسماه. ونحن معه ندعو الرب بكل جوارحنا ليمدّ يد رحمته ويوقف كلّ نزف ويشفي كل جرح.

القدس - أيها الأخوة - قلب انسانيتنا. وما يصيبها يصيب كل بشري بمقدار. فأكرِم بموتمر القدس. نقولها احتراماً وإكباراً.

‴

عهدنا مع القدس عهد طويل. نحن نصلّي وهي مدينة الصلاة. ولنا بها صلات روحية ايمانية أبدية. وفيها يرفع العبادة إلى الله كل عباد الإله الواحد الآحد. وفيها يلتقي المصلّي أخاه ويتعرّفه: ان للقدس وجهاً روحياً دينياً انسانياً، لا سمح الله بأن يمسي مجرد شأن سياسي.

الفلسطينيون اصحاب البيت. فكيف يجوز تحويلهم في بيتهم إلى زائر وعابر سبيل؟ وكيف لا يكون لهم في القدس حق الوجود والبقاء؟ القدس قدس اذا كانت المدينة والشعب لا المدينة بدون الشعب ولا الشعب بدون المدينة. إن كان الله قد افتقد الشعب الفلسطيني بالانتشار لزمن، فذلك لا يعني انه فقد رباطه بمكان به تقدس، واليه حجّ، وفيه ناجى ربه على افضل ما يمكن من المناجاة.

القدس لأهلها لا للعنصرية. فالعنصرية في القدس - كما هي في كل مكان - لطخة في جبين الحق والعدالة. في القدس نلتمس وجه الله، وفي لبنان نلتسمه كذلك.

لبنان دمه يسيل وجراحه أعظم بكثير من ان تندمل بالتأوّه والتأسّي. انه يتوقع من أشقائه محبة تشفي جراحه في الواقع. والمحبة اصلاً لا تكال بالكيل ولا تقاس بالمقادير.

لبنان دفء للجميع ومكان تلاقي آلافكار وتفاعلها ليصبح كلها للكلّ. وحلاوة لقيا المسيحيين والمسلمين فيه لا تضاهيها حلاوة.

انه غاية ومرام، منبر للإبتكار والخلق ووجه مشرق باسم للجميع. بل إنه عنصر تعزية للجميع وحجتنا متأثرة بوحدة لبنان، وعافيتنا من عافيته. ووحدته حق له، وعافيته حق له، وسلامه حق له.

ايها الأخوة،

إن لبنان اليوم يناجي القدس في فرادته وأصالته. والقدس اليوم تستدعي لبنان في فرادتها وأصالتها. والقدس ولبنان في دنيا العرب قطبان وركنان وضرورتان لكل سلام.

آمالنا بكم كبيرة لأن ثقتنا بكم عظيمة عظم محبتنا. فالله نسأل أن يغمركم بغيث نعمته. وأدعية المؤمنين ترافقكم. كان الله معكم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

فهرس..

عن الكتاب..

مقدمة الطبعة الثانية

مقدمة الطبعة الأولى

المسجد الأقصى
من التحرير إلى الاحتلال
القدس مدينة الإيمان
البداية: وعد بلفور
القدس الأقصى الهيكل
تهويد القدس
المجتمع اليهودي في القدس
القدس ومنظمة السفارة المسيحية الدولية
القدس: قضية إسلامية - مسيحية
القدس بين إسرائيل والفاتيكان
الخطر الأقسى على المسجد الأقصى
من أجل إعلام إسلامي مسيحي لنصرة القدس

الوثائق المرفقة

الوثيقة الأولى
الوثيقة الثانية
الوثيقة الثالثة
الوثيقة الرابعة
الوثيقة الخامسة
الوثيقة السادسة
الوثيقة السابعة